الحصاد

AL-HASAD Issue No: 175 / April 2026 | العدد ١٧٥ / نيسان ٢٠٢٦ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

خسائر فادحة بلا أهداف واضحة

الحرب على إيران: مخاطر السقوط في دوامة «فيتنام» جديدة

الحصاد

AL-HASAD

العدد ١٧٥. نيسان ٢٠٢٦. Issue No: 175 - April 2026

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:
إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:
د. مازن الرمضاني
أمين الغفاري

المدير الفني:
حسين حمّود

ثمن النسخة :
٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :
٣٠ جنيهاً سترلينياً

لإعلاناتكم على صفحات «الحصاد»

E-mail: hussein@hhammoud.com

"Al-Hasad" Head Office:

Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

في هذا العدد ص

موضوع الغلاف ٤/١٠
الحرب على إيران: مخاطر السقوط في دوامة «فيتنام» جديدة

مستقبلات ٢٤
الحروب الدولية: المدخلات والمخرجات

قضايا أدبية ٢٨
كتاب ومبدعون مغاربة يفككون مظاهر التطبيع مع الفساد

إضاءات فنية ٤٠
أم كلثوم.. تراث عظيم امتزج فيه الفن بالضمير الوطني

رياضة ٤٤
بدأ العد التنازلي لمونديال 2026 وسط اضطرابات وتهديد بالانسحاب

كلمة «الحصاد»

لعبة او لعنة الحرب... من يربح المباراة؟

أطلق نتنياهو وترامب صفارة بدء المبارات بين إسرائيل/أمريكا وإيران، وتعهدا أنّ يُعيدا إيران إلى ما قبل العصر الحجري! مَن سيربحُ السباق؟

لنتذكر أن القانون الإنساني في الدفاع عن النفس هو عينه ما ينطبق على الدول والشعوب / لا يمكن وصف المدافعين عن ارضهم وحريتهم بالارهاب، بل العكس الارهابي هو المعتدي اياً كان، أشخاصاً أو بلداناً .

هذه الحرب أشعلت الأرض في الشرق الأوسط، ولا يعلم إلا الله متى تُطفأ، لم تكتف حكومة إسرائيل بالمجازر التي ارتكبتها بحق الفلسطينيين في غَزةَ والأرض المحتلة والضفة الغربية، ولم يردعها رادعٌ عن غلق المسجد الأقصى وإطلاق الرصاص الحي على المسلمين الذين أرادوا أن يقيموا صلاة عيد الفطر وإن كان ذلك خارج الحرم القدسيّ، بل ألحقته بإغلاق كنيسة القيامة مانعةً بذلك المسيحيين من إقامة الشعائر الدينيّة في عيد الفصح القادم .

وبحجة القضاء على (حزب الله) في جنوب لبنان اجتاحت الارض اللبنانية وهجّرت أهل الجنوب وتوعّدت بالقضاء عليهم وإبادتهم لو عادوا إلى أرضهم ومساكنهم، فإن كان حزب الله مدافعاً عن أرضه وبلاده ومواطنيه فمن العار أن يُتّهم (بالإرهاب) ، والحق أنّ الإرهابيّ هي الدولُ المُعتديةُ وليست المُعتَدى عليها .

بهذه الحجة انطلقت إسرائيل لتوسيع إحتلالها للأرض العربية، لبنان وسوريا وبعض الأردن. ولمن لا يعلم أو يعلمُ ويتغابى فإنّ إسرائيل تريد الحصول على منابع المياه من شمال نهر الليطاني كما أستولت على منابع نهر الأردن سابقاً، وكذلك المياه الإقليمية البحرية لجنوب لبنان من البحر الأبيض المتوسط لتستولي بذلك على الغاز الذي لم يستثمره لبنان بعد، (وقد صرّح نتنياهو بأنه ألغى الإتفاقية التي كانت بين إسرائيل وحزب الله في تقسيم الغاز بين البلدين).

أعجب أن ترتضى حكومة لبنان الخضوع للضغوط الأمريكية / الإسرائيلية في التخلي عن شعب لبنان في الجنوب، وعن خيرات لبنان والشعب أحق بها من المحتلين.

الحرب على إيران خلطت الأمور ببعضها البعض، من جانب يحق لإيران ما يحق لغيرها في الدفاع عن البلاد وأن تستعمل كل ما تراه مناسباً من ادوات ووسائل حربية تبعد المعتدين. ومن جانب آخر من حق دول الجوار العربي أن ترفض الهجوم الموجه من إيران على أراضيها وإن كان إفتراض أن القواعد الأمريكية في الجزيرة العربية والخليج ستحميهم فقد ثبت لهم العكس.

وقف نتنياهو على أبواب ملجئٍ قد نالت منه صواريخ إيران ، وأعتبر ذلك جريمة حرب بحق المدنيين، ألا يذكر حين فجّروا ملجأ العامرية في بغداد عام ١٩٩١ وقد توزعت أشلاء أكثر من أربعة مئة طفل وإمرأة وشيخ على حيطان الملجأ ؟ ولم يرفّ للمعتدين جفنٌ .

يبدو أن العالم والعرب بالذات لم يتعلموا من دروس التاريخ، إنّ الذي يستعين بأجنبي ليحميه فذلك (كالذي يستجير من الرمضاء بالنار). ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:
www.alhasad.co.uk

خسائر فادحة بلا أهداف واضحة

الحرب على إيران: مخاطر السقوط في دوامة «فيتنام» جديدة

القاهرة: صفاء عزب*

«إن الفوضى المنشودة في إيران قد ترتد وبالا على الأمن القومي الغربي، عند غياب خطة واضحة لاستقرار البلاد فور انهيار النظام. كما أن حدوث فراغ سيؤدي حتما إلى نشوء «مساحات غير محكومة» ستستغلها «الجماعات الإرهابية» كما حدث في التجربة السورية المريرة».. هذه العبارة جاءت على لسان مسؤول أمريكي سابق في البنتاجون وهو ميك مولروي خلال تصريحات صحفية له تعليقا على الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران. وهي تصريحات تبدو عاقلة وأكثر حكمة من تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب المتضاربة وغير المنطقية في أحيان كثيرة والتي أثارت استفزازا كبيرا حتى من الأمريكيين أنفسهم، حينما ارتفعت أصواتهم متسائلين عن السبب الحقيقي في خوض هذه الحرب والتورط في خسائر كبيرة بين مالية وعسكرية وبشرية تكبدتها الولايات المتحدة.

للمرة الثانية على التوالي يمارس ترامب هوايته المفضلة في فن الخداع عندما قام بتوجيه ضربة عسكرية مباغتة إلى إيران بالمشاركة مع حليفه الصهيوني بنيامين نتنياهو، وذلك أثناء الجولات التفاوضية التي وافقت عليها إيران وبدأتها في العاصمة العمانية مع الطرف الأمريكي قبل انتقالها للعاصمة السويسرية، وهو نفس السيناريو الذي تكرر من قبل في شهر يونيو من العام الماضي حينما تعرضت إيران لضربات عسكرية إسرائيلية بدعم أمريكي خلال المفاوضات واشتعلت بسببها ما عرف بحرب الـ 12 يوما.

زلزال شرق أوسطي

لكن الحرب هذه المرة بدت مختلفة تماما على كل المستويات، وتوابعها أكثر خطورة على كافة الأطراف، وهو ما تأكد بشكل كارثي منذ الأسبوع الأول من هذه الحرب، والتي بدأت شرارتها الأولى مع فجر يوم السبت الثامن والعشرين من شهر فبراير الماضي في ليلة رمضانية ومشهد مأساوي حيث استيقظ الإيرانيون على أصوات انفجارات في عدة مدن إيرانية، وسحب دخانية كثيفة غطت سماء العاصمة طهران مختلطة بنيران الصواريخ الباليستية العابرة للحدود معلنة تحول الشرق الأوسط إلى ساحة حرب محاطة بأساطيل حربية وقواعد عسكرية مدججة بالذخائر وأحدث أنواع الأسلحة، اجتمعت على هدف واحد هو ضرب إيران، بينما وقعت دول الخليج داخل المثلث المشتعل وفي مرمى النيران بين إيران من جانب وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية من جانب آخر، مما عرضها لخسائر كبيرة وتهديدات أمنية خطيرة بشكل غير مسبوق أثار تساؤلات شائكة وجدلا ساخنا حول جدوى ومخاطر وجود القواعد العسكرية الأجنبية .

ومع الضربات الأولى تكبدت إيران خسارة فادحة وكارثية تجاوزت الخسائر العسكرية التقليدية بعد استهداف الرمز ورأس النظام، عندما تم اغتيال المرشد الإيراني، علي خامنئي، وهو أعلى منصب لديها، الأمر الذي أثار المخاوف من حدوث فراغ يؤدي إلى انفلات داخلي، وهو ما نجح الإيرانيون في التعامل معه باتزان وروية. رغم هول الأمر بالنسبة لهم، فسرعان ما تم امتصاص الصدمة واحتواء الضربات الإسرائيلية والأمريكية والرد عليها بضربات موجعة، تشي بوجود استعداد إيراني كبير وتوقع لهذه الحرب في ظل حالة التعبئة القصوى التي رفعتها الولايات المتحدة في المحيط الإقليمي حول إيران، وذلك بالتزامن مع سرعة ترتيب البيت الإيراني من الداخل والنجاح في اختيار مرشد جديد خلال أيام قليلة، رغم كل التهديدات التي وجهها ترامب باستهداف أي قيادة إيرانية يتم اختيارها ولا تروق للمزاج الأمريكي!

ولاشك أن عملية اغتيال المرشد الإيراني علي خامنئي وكبار قادة النظام ومعهم لاحقا علي لاريجاني الأمين العام لمجلس الأمن القومي الإيراني، تعكس تغيرا جوهريا في قواعد الاشتباك التاريخية بين أطراف الصراع، والتحول من استهداف مقدرات الدولة إلى استهداف كبار الشخصيات ورموز النظام، في محاولة لإسقاط النظام الإيراني من قمته.

وفي ظل هذه التطورات بدت الحرب هذه المرة منذ أيامها الأولى مختلفة عن حرب الـ12 يوما في قوتها وشراستها واتساع مداها وامتداد نيرانها لعدة أطراف خارج مثلث القتال المتمثل في إيران وأمريكا وإسرائيل. وصار الأمر أشبه بزلزال قوي يضرب الشرق الأوسط، لا تتوقف توابعه لتصيب كل دول المنطقة، بل ودول العالم أجمع، بهزات شديدة، نتيجة قوة الرد الإيراني على العدوان الأمريكي الإسرائيلي المزدوج ضده، وانعكاساته على الوضع الاقتصادي العالمي.

لقد قامت إيران بعمليات كبيرة ردا على هذا العدوان؛ منها إطلاق أكثر من 600 صاروخا من نوع باليستي وكروز، و2600 هجوما بطائرات مسيرة في الموجات الأولى خلال الأسبوع الأول من الحرب، استهدفت أكثر من 200 موقع ومنشأة أمريكية في مقدمتها القواعد الأمريكية بمنطقة الخليج والعمق الإسرائيلي، إضافة إلى السفارات والمصالح الأمريكية في بعض دول الجوار. قبل أن تتطور المعركة لاحقا بشكل خطير وتتسع الأهداف العسكرية لتشمل منشأت نفطية وأماكن استراتيجية تخص الولايات المتحدة وحلفاءها في المنطقة ويصبح الشرق الأوسط كله ساحة اقتتال.

وهو ما أكدته تصريحات علي محمد نائيني المتحدث باسم الحرس الثوري الإيراني الذي أشار إلى إن الهجمات الإيرانية خلال الأسبوع الأول فقط استهدفت منظومات رادارية متطورة تابعة للولايات المتحدة، حيث تم تدمير 7 رادارات متطورة تابعة لمنظومة «ثاد»، مما عطل جزءا كبيرا من «المظلة الأمنية الأمريكية».

اغتيال المرشد الإيراني علي خامنئي

اغتيال علي لاريجاني الرجل السياسي المعتدل

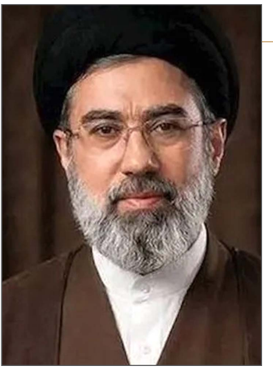

المرشد الجديد المنتخب مجتبى خامنئي

وكشف نائيني أيضا أن حجم النيران التي أطلقتها بلاده في الأيام الثلاثة الأولى فقط من الحرب يعادل حجم النيران في حرب الـ 12 يوما في يونيو الماضي، ما يؤكد أن الحرب هذه المرة مختلفة تماما.

خسائر كارثية لأمريكا وإسرائيل

لقد نجحت إيران في تكبيد خصومها خسائر فادحة واستنزافهم عسكريا. وكانت وزارة الحرب الأمريكية قد أبلغت الكونغرس أن الأسبوع الأول من الحرب مع إيران كلف الولايات المتحدة 11.3 مليار دولار، وأنه في أول يومين من الحرب استخدمت أمريكا ذخائر بقيمة 5.6مليارات دولار، بجانب استنزاف مخزون صواريخ الدفاع الجوي حيث أجبرت إيران واشنطن على استخدام صواريخ قيمتها مليونا دولار لمواجهة مسيرات إيرانية لاتزيد تكلفتها عن 20 ألف دولار. كما كشفت صحيفة ذي أطلانتيك عن مسؤول في الكونجرس الأمريكي أن التقديرات الأولية لتكلفة الحرب الأمريكية على إيران تصل إلى مليار دولار يوميا.

كما فقدت أكبر قوة عسكرية في العالم عددا من جنودها وعتادها وتعرضت أكبر حاملة طائرات، إبراهام لينكولن، للتهديد بشكل أجبرها على التراجع للخلف، بجانب تعرض حاملة الطائرات فورد للاحتراق وإجبارها على الانسحاب إلى اليونان.

وهي خسارة كارثية لم تتكبدها الولايات المتحدة وحدها، بل تكبدتها معها إسرائيل أيضا، حيث صرحت وزارة المالية الإسرائيلية إن الخسائر الاقتصادية الناجمة عن الحرب الإسرائيلية الأمريكية على إيران تتجاوز ما يعادل 2.9 مليار دولار ـ أسبوعيا. بينما أشارت مراكز أبحاث إسرائيلية أن خسائر أول أسبوع فقط من الحرب تقدر بمليارات الدولارات، شاملة أضرار في المباني والمنشآت النفطية وخسائر الأسلحة بجانب توقف عجلة الإنتاج وهي مسألة حيوية يضيق بها الإسرائيليون، ولا يستطيعون الصبر عليها وتحملها.

ولأول مرة منذ الحرب العالمية الأولى يتحدث الخبراء العسكريون عن «أزمة في المعدات الدفاعية» لدى الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في حربهم ضد إيران. وهو ما أكده آدم توز مدير المعهد الأوروبي في جامعة كولومبيا الذي قال أن إيران تستنزف الولايات المتحدة وحلفاءها في الحرب لأنها اضطرتهم إلى المواجهة على طريقة «رصاصة برصاصة» وهي عملية معقدة وصعبة تقنيا حاصة مع تكلفتها المضاعفة للتكلفة الإيرانية. وأشار إلى أن أمريكا وحلفاءها يجدون أنفسهم مجبرين على استخدام أنظمة تقنية تحتاج إلى بطاريات تكلفة الواحدة منها مليار ونصف دولار، وصواريخ ثاد التي تبلغ تكلفة الطلقة الواحدة منها 15 مليون دولار، وكل ذلك لاعتراض ومواجهة المسيرات والصواريخ الإيرانية رخيصة الثمن نسبيا! ونتيجة لذلك ثارت مخاوف الخبراء من الوقوع في أزمة نقص الصواريخ الاعتراضية أو المعدات الدفاعية على شاكلة أزمة القذائف ونقص مقذوفاتها نتيجة القصف الكثيف المتبادل بين الجيوش الأوروبية أثناء الحرب العالمية الأولى عام 1914.

وفي ظل غطرسة ترامب وإصراره على استمرار الحرب رغم هذه الخسائر، أجبرته الضربات الإيرانية والتهديدات الخطيرة عند مضيق هرمز على استجداء المساعدة من دول العالم للمشاركة في حماية السفن المارة عبر المضيق، وأعرب عن تبرمه من حلف الناتو، »

عدم وجود انسجام كامل بين الطرفين الإسرائيلي والأمريكي في الهدف الحقيقي من حربهما على إيران

منتقدا أعضائه بالتقاعس أو التقصير في مساعدة الولايات المتحدة ودعمها في الحرب، بما يشي عن ورطة وقعت فيها أمريكا بسبب سياسة ترامب الاندفاعية الهوجاء. كما كانت مشاركة إسرائيل في الحرب على إيران (أو جر أمريكا لها في حقيقة الأمر) وبالا عليها مما عرضها لخسائر كبيرة إلى الدرجة التي جعلت حكومة الاحتلال تعبر عن قلقها من خطر نقص الصواريخ الاعتراضية لديها واحتمالات العجز عن مواجهة الضربات الإيرانية، وهو ما دفعها إلى طلب الدعم العسكري السريع من واشنطن خلال مراحل الحرب. وقد

إيران ليست فنزويلا

قبل إعلان الحرب حاول ترامب أن يلعب على مشاعر الشعب الإيراني بعد تصريحات عدائية متكررة تدعم المتظاهرين وتعمد إلى تحريضه على التمرد ودفعه لمزيد من الاحتجاجات الداخلية تحت شعار الحرية والديمقراطية المزعومة. ولما فشل في استدراج الشعب الإيراني للإنقلاب على نظامه وعاد الهدوء النسبي بعد مظاهرات عنيفة في البلاد، لجأ إلى الحرب وقام بعملية أطلق عليها «الغضب الملحمي» وأسمتها إسرائيل «زئير الأسد» لاغتيال رأس النظام المرشد الأعلى علي خامنئي وعدد من أفراد أسرته وذلك بعد استهداف مكتبه بغارات جوية وصواريخ، إلى جانب 40 من كبار القادة والمسؤولين، اعتقادا منه أنه بذلك سيسقط النظام الإيراني ويدفع الشعب نحو التغيير، وربما يمد يد التعاون معه والاستسلام له كما حدث معه في أعقاب واقعة خطف واعتقال الرئيس الفنزويلي مادورو ، دون أن يدرك أنه أخطأ في حساباته عندما اعتبر أن إيران مثل فنزويلا. فإذا كان أسلوب القرصنة الدولية الذي يمارسه ترامب نجح في تحقيق أطماعه في وضع يده على نفط جارته اللاتينية، فنزويلا، بعملية استعراضية قامت بها مجموعة من قواته، فإن الأمر مختلف تماما في حالة إيران ولن تفلح الحرب المباغتة التي شنها هو ونتنياهو على إيران في تركيع الشعب الإيراني، الذي يختلف في جوهري العقدي والثقافي، ومن ثم فإن إيران ليست فنزويلا.

لم يدرك ترامب وحلفاؤه أن الخلفية الحضارية والدينية التي يقوم عليها النظام الإيراني تجعله عنيدا راسخا وعصيا على الانهيار بسهولة. لقد أخطأ التقدير حينما ظن أن اغتيال المرشد والقيادات الكبرى على رأس النظام يمكن أن تصيبه بالشلل والانهيار. الواقع يؤكد أن إيران اكتسبت خبرات كبيرة عبر أزماتها المتتابعة كانت دافعا لتطوير مؤسساتها العسكرية قبل السياسية، واتباع آلية مستويات القيادة البديلة للتمكن من القدرة على تعويض القيادات العليا بسرعة خاصة في الأوقات الحرجة، وهو ما طبقته عمليا بعد اغتيال علي خامنئي.

كما أخطأت الحسابات الأمريكية والإسرائيلية

دمار في احياء تل أبيب

التي اعتقدت أن الإطاحة برأس النظام الإيراني ورمزه من خلال الحرب يشجع الإيرانيين للخروج عليه والعمل على إسقاطه، دون إدراك أمر مهم مفاده أن إعلان الحرب يسهم في التفاف الشعب حول قياداته وتجاوز مطالب الاحتجاجات الداخلية إلى الهدف الأكبر وهو التصدي للعدو الخارجي، بما يعني أن إعلان ترامب الحرب على إيران بمزاعم إسقاط النظام خطأ كبير لم يحقق له الهدف المنشود بل أدي إلى نتيجة عكسية. وهو ما جعل ترامب مصدوما من عدم سقوط النظام واستسلام إيران سريعا مع الضربات الأولى بحسب توقعاته قياسا على ما فعله في فنزويلا! ولذلك بدت أمريكا في ورطة كبيرة دفعت بعض مستشاري الرئيس ترامب لحثه سرا على الإعلان عن خطة للخروج من حرب إيران، بحسب ما أوردته وول ستريت جورنال، وهو ما يفسر لنا تضارب تصريحات ترامب من وقت لآخر أثناء الحرب.

هل تتوقف الحرب؟

الإجابة على هذا التساؤل تستلزم معرفة وقت انتهاء الحرب المحتمل، وبطبيعة الحال فإن الحرب تنتهي عندما تحقق الهدف منها، وهو ما يثير تساؤلا آخر حول ماهية ذلك الهدف!

في البداية روجت التصريحات الأمريكية لضرب إيران بهدف القضاء على برنامجها النووي وإجبارها على التفاوض غير المشروط، لكن تحولا حدث مع الساعات الأولى من نشوب الحرب عندما تم استهداف القيادات والرموز الإيرانية بشكل عنيف أطاح بالعشرات منهم، ليرتفع سقف الأهداف من هذه الحرب وصولا إلى استهداف النظام الإيراني كله على شاكلة ما تم في فنزويلا. ولكن صمود النظام الإيراني في وجه العدوان الأمريكي والإسرائيلي لأسابيع حتى مع استهداف قيادات كان غيابها يمكن أن يحدث هزات عنيفة في البلاد، خلق صدمة أدت إلى عودة الحديث عن احتمالات توقف الحرب أو وجود مفاوضات واتصالات في الكواليس، وهوالأمر الذي ترفضه إسرائيل، بما يشي بعدم وجود انسجام كامل بين الطرفين الإسرائيلي والأمريكي في الهدف الحقيقي من حربهما على إيران. وربما كان إعلان إسرائيل عن اغتيالها الشخصية الإيرانية السياسية المعتدلة، علي لاريجاني الأمين العام لمجلس الأمن القومي الإيراني بشكل مباغت في وقت لاحت فيه بوادر الحديث عن احتمالات وقف الحرب وإتاحة الفرصة للتفاوض، يعكس هذا الخلاف. والواضح أن إسرائيل تريد استمرار الحرب حتى تقضي على الوجود الإيراني نهائيا، بهدف قطع رأس المقاومة. ولكن في نفس الوقت ليس من مصلحة الولايات المتحدة القضاء نهائيا على إيران لأسباب استراتيجية تتعلق بتوازنات منطقة الخليج. كما أنه ليس من مصلحة الأمن الإقليمي ولا العالمي أن تدخل إيران في حالة من التمزق والفوضى السياسية، لأنه سيصبح السيناريو الأكثر خطورة الذي ينذر بظهور بؤر إرهابية تستهدف المصالح الغربية، وموجات نزوح بالملايين تجاه أوروبا بما يشكل عبئا ثقيلا على أمنها، وهو ما تحاول أوروبا منع حدوثه.

ان اغتيال لاريجاني الرجل السياسي الايراني المعتدل عقل النظام ومفاوضه، يسهم في تعقيد الأمر خاصة وأن بدائله ربما تكون أكثر تشددا وأقل براجماتية بما يعني استطالة أمد الحرب والتراجع الإيراني عن فكرة التفاوض.

وعلى الجانب الآخر فإن إسرائيل تعمل على استمرار جر الولايات المتحدة معها في هذه الحرب بهدف اجتثاث رأس محور المقاومة بالتزامن مع استهداف أذرعه سواء في اليمن أو لبنان أو غيرهما.

ويبقى الأمر معلقا على الموقف الأمريكي ومدى تأثير العقلاء الأمريكيين على صناعة القرار والحيلولة دون السقوط في مستنقع جديد يعيد ذكريات حرب فيتنام الأليمة.

كما أن الضغوط الاقتصادية التي تتعرض لها الولايات المتحدة وحلفاؤها من جراء غلق مضيق هرمز أو تعرض حركة التجارة العالمية في المنطقة للخطر وانعكاساتها من خسائر فادحة تلعب دورا مهما في الضغط باتجاه وقف الحرب... وهو ما تكشفه الفترة المقبلة. ■

* كاتبة وصحافية مصرية

معن بشور*

قراءة في الحرب بعد دخول اليمن على الخط

مع دخول الصواريخ اليمنية في الحرب الدائرة اليوم في المنطقة ، الممتدة بين ايران ولبنان وفلسطين، يتساءل البعض بشيء من السذاجة، او بكثير من التشكيك، عن سبب تأخر (أنصار الله) مدة شهر عن المشاركة ، وهم الذين كانوا السباقين إلى المشاركة في كافة المواجهات السابقة ، منذ اوائل ملحمة طوفان الاقصى قبل عامين ونصف.

هؤلاء المتساءلون ، او المشككون ، لم يدركوا بعد ان قيادات المقاومة اليوم من ايران إلى فلسطين ولبنان والعراق واليمن لا تتحلى بالايمان والشجاعة فقط ، بل أيضًا بعقل استراتيجي يعرف متى وكيف واين يتحرك، بشكل جعل من مستوى مشاركتهم في هذه المعركة «مفاجأة الأمة لنفسها» ، بل «مفاجأة للعالم نفسه»، وهو الذي كان يعتقد ان حرباً تشنها واشنطن ويشارك فيها العدو الصهيوني لن تطول أكثر من ايام معدودة، خصوصاً بعد نجاح أطراف العدوان في اغتيال المرشد اية الله خامنئي، والعشرات من القادة الإيرانيين.

ومع دخول رجال اليمن وابطالها مستهدفين العدو في جنوب فلسطين، جنباً إلى جنب مع المقاومة اللبنانية التي تستهدف العدو في مستعمراته في شمال فلسطين المحتلة، في حين تصب القوات الايرانية اغلب حممها في اواسط فلسطين المحتلة ، وصولاً إلى ديمونة.

طبعاً تستعد قوى المقاومة في الدفاع عن المنطقة لمواجهة موجة جديدة مرتقبة من الحرب العدوانية اللئيمة عبر محاولة اميركية مشبوهة لفتح مضيق هرمز في اطار معركة تستهدف الحفاظ على ماء وجه الدولة التي ظنّ الجميع انها اقوى دولة في العالم ، في الوقت الذي يخرج فيه ثمانية ملايين اميركية وامريكي في العديد من المدن في الولايات المتحدة في تظاهرات ضد الحرب التي لم يمر عليها شهر ، فيما استمرت حرب واشنطن في فيتنام عدة سنوات قبل أن تهزم الإدارة الاميركية في الداخل الاميركي قبل أن تهزم في هانوي.

ولعل اعلان رئيس أركان الجيش الاسرائيلي في اجتماع مجلس الحرب الصهيوني ان «جيشه على وشك الانهيار» هو ما يلخص الواقع الميداني لدى الكيان الصهيوني الذي لا يختلف كثيراً عن الواقع السياسي والاقتصادي والشعبي داخل الولايات المتحدة نفسها. ■

□■□

من حكايات رأس السنة
ملحمة الطيبة (1/1/1975)

فيما كان العديد من اللبنانيين غارقا في آخر سهرة لرأس السنة يمضونها قبل اندلاع الحرب الملعونة في ربيع 1975، وفيما كان بعضهم الآخر قد أوى الى الفراش طاويا عاما انقضى ومستعدا لاستقبال عام جديد، كانت قوة إسرائيلية مؤللة تتقدم داخل قرية جنوبية حدودية بقصد تأديب أبنائها الوطنيين، حيث لم يكن في (الطيبة) آنذاك، ولا بعدها، قواعد للفدائيين الفلسطينيين. وكان الجنود الاسرائيليون ما زالوا تحت تأثير سحري لكلام قائدهم السابق موشيه دايان بعد حرب حزيران 1967: «احتلال لبنان لن يكون لنا أكثر من نزهة تقوم بها مجنداتنا على الدراجات»، وكان بالطبع يغمز من قناة دول عربية أكبر بكثير من لبنان، وذات جيوش أكثر عددا وعدة، لم تصمد سوى أيام أمامه.

فإذا كان احتلال لبنان بأسره نزهة، فكيف يكون إذن حال غارة مدججة بكوماندوس ومدرعات على قرية عاملية صغيرة معزولة وعزلاء لا تفصلها عن حدود فلسطين المحتلة والمستعمرات الصهيونية فيها إلا أمتار قليلة. فوجئ الجنود الاسرائيليون بالنار تطلق عليهم من بيت قروي متواضع في مدخل القرية، وتقتل منهم من تقتل وتصيب آخرين. بل فوجئ الغزاة بهذا البيت يتحول الى متراس مدجج بالنار، وقد كانت كل استطلاعاتهم الدقيقة تشير الى خلو القرية برمتها من فدائيين أو مقاتلين. جن جنون الجنود وقائدهم وغرفة العمليات التي توجههم، وصبوا جام قذائفهم على البيت واستدعوا مروحياتهم، وفتحوا مع هذا البيت البسيط جبهة نار استمرت عدة ساعات.

وصمتت نيران المدافعين، وتقدم الغزاة بعد تأكدهم من استشهاد من كانوا في البيت ليجدوا فيه جثثا ثلاث والى جانبهم بنادق إحداها آلية روسية والثانية نصف آلية والثالثة بندقية إنكليزية من مخلفات الحرب العالمية الأولى، بل وجدوا جريحا رابعا يئن بصمت وحزن وكبرياء.

وتضاعفت مفاجأة الجنود الغزاة حين عرفوا ان الذين استشهدوا وجرحوا كانوا أفراد عائلة جنوبية واحدة هم الشهيد السيد علي شرف الدين وولداه السيدان عبد الله وفلاح وان الجريح كان السيد حسين النجل الثالث في العائلة. طبعا لم يفهم الطغاة، وقد أمدهم الله «بطغيانهم يعمهون»، ان الشهداء البعثيين الثلاثة وابن بلدتهم الشيوعي الشهيد الرابع محمود قعيق، هم طلائع مقاومة جنوبية متنامية ستتحول مع الأيام الى إحدى أخطر الظواهر المهددة للأسطورة الصهيونية والمربكة «لجيشها الذي لا يُقهر». وطبعا لم يدرك الغزاة أيضا أنهم سيواجهون على امتداد عقدين أو أكثر حالة من الجسارة الجنوبية التي تختزن في داخلها حباً غير محدود للأرض، وإيمانا غير مسبوق بالحق، وتراثا ممتدا من الروح الحسينية الاستشهادية. وطبعا لم يقرأ المحتلون جيدا اسم «العائلة الشهيدة» شرف الدين، ليدركوا انه وصية أكثر منه اسما، انه دعوة للدفاع عن الأرض لأنها «شرف»، وللدفاع عن الحق لأنه «دين».

وظن أركان المطبخ العنصري في تل أبيب، انهم بإشعالهم الحرب الملعونة في لبنان بعد أشهر على تلك المعركة الملحمة قادرون على وأد تلك المقاومة الوليدة وتحويلها الى مجرد ذكرى في مستودع النسيان الكبير. ولكن الحرب الملعونة التي اشتعلت في كل أرجاء الوطن لم تستطع ان تطفئ شعلة أنارها أبو حسين شرف الدين وولداه، وقبلهم أمين سعد (الأخضر العربي) وواصف شرارة وحسين علي قاسم صالح، وبعدهم الشهيد أبو علي حلاوي، بل لم تستطع تلك الحرب على ضراوتها، أن تمنع تلك الشموع التي أشعلها قبل ربع قرن أولئك الرواد في زوايا جنوبهم المنسية من أن تتحول اليوم الى شمس تضيء سماء الوطن كله، شمس المقاومة، التي وان تعددت رايات مجاهديها وتنوعت، فهي واحدة مستمرة حتى التحرير. قبل «السادة» علي وعبد الله وفلاح شرف الدين، و«سيد» شهداء المقاومة عباس الموسوي، و«السيد» العاملي بلال فحص، و«السيد» الطبيب حكمت الأمين، و«السيد» الرفيع هادي حسن نصر الله وكل شهداء المقاومة، سادة الوطن والأمة، كانت كلمة «سيد» لقبا موروثا يتصل بنسب شريف وعريق، وبعدهم تحولت الى رمز لبطولة وتصميم بدونهما لا تكتمل «سيادة» وطن أو أمة. في رأس السنة الجديدة سنسهر مع حكاياتهم وحكايات كل شهدائنا والأبطال... فهي الأجمل والأمتع والأبقى. ■

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

انقلاب توازنات المنطقة وولادة نظام إقليمي جديد

حرب إيران: زلزال الشرق الأوسط

لندن: محمد قواص*

رغم التهديدات والأعراض والاستعدادات وتدفق أوراق البحث المنذرة باندلاع الحرب، بقيّ العالم معوّلا على عوامل كثيرة لمنع الصدام العسكري الكبير بين الولايات المتحدة وإيران. فقد تعددت خلال العقود التي تلت قيام الجمهورية الإسلامية عام 1979 أسباب ودوافع وحيثيات لإندلاع المواجهات، لكن عوامل معروفة وكثيرها خفيّ، حالت دون الذهاب إلى الاحتراب المباشر، وبقيت إدارة الخلافات تجري وفق ثنائية التفاوض المعقّد والحرب عبر الوكلاء. ولئن يبدو الصدام استثناء يشذّ عن قاعدة في علاقة واشنطن وطهران، فإن الأمر نذير نهاية وليس عرضيا له ما بعده أو بدا كذلك.

الصواريخ قبل النووي

صعّد الرئيس الأميركي دونالد ترامب خطابه ضد إيران عشية جلسة تفاوض جديدة عقدت في جنيف في 26 شباط (فبراير) الماضي. فمقابل تصريحات إيجابية متفائلة لوزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي بشأن قرب التوصل إلى اتفاق بشأن البرنامج النووي، سلّط الرئيس الأميركي الضوء على أخطار الصواريخ الإيرانية على الولايات المتحدة، وضراوة الانتهاكات التي قال إن إيران ارتكبتها ضد آلاف من المحتجين.

في 24 من ذلك الشهر، قال الرئيس الأميركي في خطاب الاتحاد أمام الكونغرس إن إيران التي "طُلب" منها ألا تعيد بناء برنامجها النووي، تسعى الآن لإحياء "طموحاتها الشريرة". شدد على أن إيران "طوّرت بالفعل صواريخ يمكنها تهديد أوروبا وقواعدنا في الخارج، وتعمل على بناء صواريخ ستصل قريباً إلى الولايات المتحدة".

في خطابه لوّح بأنه مستعد لتوجيه ضربة جديدة إذا لم توقف طهران برنامجها النووي وبرنامج الصواريخ بعيدة المدى. وأشار إلى مقتل ما يتجاوز 32 ألف متظاهر إيراني على يد سلطات طهران، وربط بين القمع الدموي للاحتجاجات الداخلية في إيران وشرعية أي تصعيد أميركي ضد النظام الإيراني.

لفت مراقبون إلى أنه لم يسبق لترامب أن أثار مسألة أخطار البرنامج الصاروخي الإيراني، وركّز دائماً خطابه وهجماته على الخطر الذي يمثله امتلاك إيران للقنبلة النووية. أضافوا أن مسألة مناقشة ملفات أخرى غير البرنامج النووي بقيت في مستوى خلفي في الولايات المتحدة أو من خلال تسريبات صحفية، وأن وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو أثار المسألة حديثاً في تصريح قال فيه أنه من غير المنطقي مناقشة النووي من دون الصاروخي وعلاقة طهران بالأذرع.

الخيار العسكري

شيء ما كان تغيّر في خطاب ترامب. حديثه عن أن إيران طورت صواريخ تهدد أوروبا وقواعد أمريكية، وتعمل على تطوير صواريخ تصل الأراضي الأمريكية، كان يهدف إلى ترسيخ صورة إيران كخطر استراتيجي عابر للإقليم، لا مجرد خصم إقليمي في الشرق الأوسط. ويساعد هذا الخطاب في حشد التأييد الداخلي لأي تصعيد عسكري جديد، ويزيد تماسك المعسكر الأطلسي خلف واشنطن.

يذكّر التركيز على وصول الصواريخ إلى الولايات المتحدة بخطاب إدارة بوش عن صواريخ العراق وكوريا الشمالية، ويستخدم الخوف من التهديد المباشر للأراضي الأميركية كأداة لتبرير الإنفاق العسكري والتحركات في الخليج. فيما أن خطاب ترامب يضع الأوروبيين أمام معادلة مواجهة خطر صاروخي في جوارهم المباشر. ويعتبر تقييم غربي أن خطر صواريخ إيران ليس نظرياً بالنسبة إلى أوروبا، فقد استخدمت تلك الصواريخ إضافة إلى المسيّرات الإيرانية الصنع ضد أوروبا في حرب روسيا ضد أوكرانيا.

وقد أشارت مصادر مراقبة إلى أن لهجة ترامب في الأيام السابقة لمفاوضات جنيف اتّسمت بالمزاوجة بين التهديد والحوار. فمن جهة كان يلوّح بضربات جديدة ويتحدث عن «أرمادا» بحرية جاهزة ضمن مدى إيران، ومن جهة أخرى يرسل مبعوثيه إلى جنيف ويؤكد أن الإيرانيين «يتعاملون معنا بجدية». واعتبروا أن هذه الازدواجية تعكس منهج الصفقة الكبرى تحت ضغط أقصى الذي تبنّاه في ملفات أخرى.

بالمقابل لاحظت جهات بحث أن لهجة وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي كانت تميل إلى التفاؤل الحذر، لجهة تحدثه عن "إشارات مشجعة" و"إمكانية الوصول إلى اتفاق". لاحظت أيضاً تمسكه بعدم التفاوض على الصواريخ، ورفض مفاوضات تحت التهديد المباشر.

الحرب مقررة رغم التفاوض

شنّت الحرب في 28 شباط (فبراير) 2026. بدت سابقة في ظروفها وتفاصيلها إذا ما قورنت بحروب سابقة. لم تكن مفاجئة. جرى التحضير لها قبل أشهر على نحو مباشر وشفاف. دفع البنتاغون بقواته البحرية نحو مياه المنطقة. حاملات طائرات ومدمرات وغواصات وقاذفات من أنواع وأحجام حديثة. بدا أن إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب اتخذت قرار الحرب الكبرى منذ أن عادت قاذفات B2 الاستراتيجية من عملية قصف مفاعلات إيران النووية في حزيران (يونيو) 2025. لكن السؤال: ماذا أرادترامب؟

أطلق الرئيس الأميركي ما قال إنها «عملية» عسكرية ضد إيران. لم يتلفظ بكلمة «حرب»، وهو الذي لطالما وعد ناخبيه بأنها ليست صنعته وأنه آت للتخلص منها وإخراج بلاده من مستنقعاتها. كان وعدا انتخابيا يسهُل التراجع عنه خدمة لـ «مصالح الدولة». أبلغ الأمة الأميركية أثناء خطاب حالة الاتحاد أمام الكونغرس قبل بدء الحرب بأيام أن إيران تمثل «خطرا» على الولايات المتحدة. فاجأنا وفاجأهم بإعلانه، لأول مرة حتى لأغراض الساعة، أن إيران تملك برنامجا صاروخيا ستصل نيرانه إلى الأراضي الأميركية.

لم يسبق لترامب أن تحدث عن برنامج إيران الصاروخي. استولى على خطابه، منذ انسحابه من الاتفاق النووي عام 2018، هاجس القنبلة النووية. وحتى حين ذهبت إسرائيل، ثم الأوروبيون، إلى المطالبة بأن تشمل المفاوضات برنامج إيران الصاروخي، بقي ترامب، وهذا ما عوّل عليه الإيرانيون، متمسكا بجوهر العلّة: القنبلة اللعينة. قبل أسابيع من بدء الحرب فقط صدر عن وزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو، ابن «المؤسسة» الأميركية، أول إشارة رسمية إلى أن ملف الصواريخ بات هدفا.

الأرجح أن الحرب كانت مقرَّرة بشكلها الحالي، بالتحالف مع إسرائيل، قبل أشهر. تبادل الحليفان الزيارات العسكرية التقنية بصمت، ووُضعت الخطط، وحُددت الأهداف. ترُك للقيادة السياسية أن تتبادل رسائل عدم التوافق الكامل، بما استدعى هرولة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو للقاء الرئيس الأميركي في واشنطن. كان مطلوبا التعتيم وعدم الخروج ببيانات، ليتركوا للجانب الإيراني هامش التخمين، وربما الفرصة لتقديم اقتراح مفخم يقنع ترامب بإعلان نصر نظيف من دون إطلاق طلقة واحدة.

حرب وجود

لم يحمل وزير الخارجية الإيراني عباس عراقجي العرض المقبول إلى جنيف. تمسكت إيران بتقنيات _التشاطر_ التي عرفت بها منذ قيام الجمهورية عام 1979. قال العرض:

-1 نتنازل عن مستويات التخصيب على ألا تكون صفرية.

-2 نتنازل عن مخزون اليورانيوم على أن نحتفظ بقسم منه.

-3 نقفل ملف البرنامج النووي وترفع العقوبات ولا يفتح أي ملف آخر.

فوق ذلك، ذهب عراقجي في نهاية يوم التفاوض إلى التبشير بالنهايات السعيدة. «

قصف طهران

عراقجي: تنازلات كبرى غير كافية

استهدفت الحرب المرشد إيذانا باستهداف النظام

ترامب: الحرب ضد وجود النظام في طهران

قصف تل أبيب

نزوح الضاحية من ضاحية بيروت الجنوبية

تبادل مبعوثا ترامب، ستيف ويتكوف وجاريد كوشنر، النظرات. لم يصدر عنهما ما يفسر _فرح_ عراقجي. استنتجت طهران المأزق وطلبت من الوسيط العماني، وزير الخارجية بدر البوسعيدي، السفر إلى واشنطن لمحاولة ترميم ما انكسر في جنيف والبوح بما عجز وزير إيران عن البوح به. التقى الوزير بنائب الرئيس الأميركي جيه دي فانس، ثم كشف للإعلام الأميركي لاحقا أن إيران مستعدة لخيار «صفري» ينهي أخطار القنبلة. كان الكشف جللا ومفاجئا، ومع ذلك اختارت واشنطن الحرب.

المفاجأة ليست في الحرب بل في أهدافها. الحرب أداة من أدوات السياسة، فما هي الأهداف السياسية؟

في إعلانه عن «العملية» العسكرية أطلق ترامب عناوين ذات سقف أقصى. قدم القرار بصفته ضرورة لأمن الأمة الأميركية. لم يعد الهدف البرنامج النووي ولا حتى الصاروخي، بل إسقاط «الحالة» الإيرانية وإزالة النظام في طهران. أخرج من الخزائن العتيقة كشف حساب عما مارسته الجمهورية الإسلامية ضد المصالح الأميركية، بما في ذلك سحق قوات المارينز في بيروت عام 1983 بعد محاولتهم احتلالها، وأفشلها الشعب اللبناني المقاوم. كان في البيت الأبيض حينها صقر من صقور الحزب الجمهوري، رونالد ريغن، الذي قرر سحب قوات بلاده بشكل مهين ومستغرب من لبنان، فيما يعود صقر جمهوري هذه الأيام ليرد الإهانة ويصفي حسابا تعذّر حينها التعامل مع واقعه.

لم يعط ترامب، ثم بعد ذلك نتنياهو، لإيران مجالا للبس وعدم فهم أهداف الحرب. تبلّغت طهران على الهواء مباشرة أنها حرب وجود، بما يفسر سرعة إطلاق طهران ردها الصاروخي ضد القواعد الأميركية في المنطقة داخل دول لطالما عملت وبذلت الجهد لمنع اللجوء إلى الخيار العسكري. باتت المنطقة جزءا من بنك الأهداف، وبات على المنطقة أن تتموضع في خياراتها السياسية المقبلة وفق هذا الأمر الواقع. لسان حال طهران: «ومن بعدي الطوفان».

طهران: ذعر وعشوائية

لا سوابق يمكن الاعتماد عليها لفهم اللحظة وما بعدها. دفعت الولايات المتحدة، محاطة بحلف متعدد الجنسيات، بعشرات الآلاف من الجنود في حرب الكويت عام 1991 ولغزو أفغانستان عام 2001 والعراق عام 2003 لإسقاط النظامين. اكتفت بقصف جوي مكثف لأسابيع لإسقاط نظام يوغوسلافيا السابقة عام 1999، فيما تولى تمرد داخلي واسع، مدعوما بقصف من قوات الناتو، إسقاط النظام في ليبيا عام 2011. فكيف يمكن إسقاط نظام إيران؟

السؤال صعب. لكن ما أخبرتنا به الساعات الأولى لبدء الضربات التي أطاحت بالمرشد علي خامنئي. أُصيبت القيادة في إيران بحالة ذعر إلى درجة القيام برد سريع ضد أهداف في دول الخليج.

تغيّر شكل المنطقة بعد بدء الحرب. أثارت طهران برمشة عين جيرانها وأطاحت بتفاهمات أوقفت حالة الخصام، على الأقل منذ اتفاق بكين مع السعودية عام 2023. باتت دول المنطقة المستهدفة وما وراءها مضطرة إلى التموضع وفق حقيقة أنها جزء من الحرب، ويجب أن تكون جزءا من مآلاتها التي يجب ألا يحتكر تقريرها تحالف أميركي إسرائيلي.

تقول المعلومات إنه بعد ساعات من انتهاء جلسة المفاوضات الأميركية الإيرانية الأخيرة في جنيف، وبعد التصريحات المملّة لوفدي البلدين عن التقدم، والتفاؤل، ووضع إطار...، وما يشبه ذلك، طلبت الولايات المتحدة من عراقجي وفريقه العودة في آخر شباط (فبراير) بردّ مكتوب ليبنى على الشيء مقتضاه. وفيما أمهل هذا الإعلان إيران 10 أيام لتأتي بفتاوى جديدة، يجوز التساؤل بشأن «بركة» الصبر والتمهل التي هبطت على واشنطن على نحو لا يشبه توعدها وتعجلها بالسرعة والحسم.

تعذّر الركون إلى ما هو رسمي في واشنطن. غير أن أوراق سياسات ومقالات مطولة صادرة عن مراكز التفكير في الولايات المتحدة كانت تحثّ واشنطن على امتلاك تصور لما ستفعله إذا بدأت مؤشرات الانهيار تتراكم. تعاملت تلك الأوراق مع كيفية دعم قوى معارضة، وتأمين الممرات الإنسانية والاقتصادية، ومنع تفكك الدولة إلى أقاليم متصارعة على أسس قومية ومذهبية.

لبنان في قلب الحرب

لم تفرق إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة بين إيران ولبنان. الجبهتان عنوان واحد لحرب واحدة. بدا إن لخطط التعامل مع الحالة الإيرانية حاجة للتعامل مع حالة حزب الله في لبنان، لكن على نحو يلعب بالتوازنات الديمغرافية والسكانية. في 5 مارس 2026، أصدر الجيش الإسرائيلي "أمر إخلاء» غير مسبوق لسكان الضاحية الجنوبية في بيروت. نشر المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي أفيخاي أدرعي عبر منصة "إكس" إنذاراً عاجلاً يدعو السكان إلى "إنقاذ حياتهم وإخلاء منازلهم فوراً"، محدداً طرقاً آمنة شمالاً (باتجاه طرابلس) أو شرقاً (باتجاه جبل لبنان عبر طريق بيروت ـ دمشق)، مع تحذير من التوجه جنوباً.

شمل الأمر أحياء رئيسية مثل برج البراجنة التي تضم أيضا مخيما للاجئين الفلسطينيين، والحدث وحارة حريك الشياح. وأثار حالة هلع واسعة، مما أدى إلى نزوح كثيف وازدحام مروري خانق، وزيادة أعداد النازحين في لبنان الذي يعاني أصلاً من أزمة نزوح بسبب التصعيد المستمر. يومها أيضا هدد وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش بأن الضاحية الجنوبية "ستصبح قريباً مثل خان يونس"، مشيراً إلى تدمير واسع مشابه لما حدث في غزة.

اعتبر مراقبون أن التهديد بتدمير الضاحية على منوال ما حلّ بخان يونس يشير إلى احتمال شن غارات جوية مكثفة ما قد يؤدي إلى انهيار بنى تحتية كاملة في الضاحية. واعتبروا أن الهدف ليس عسكريا ولا ينال من قوة حزب الله، لكنه يرفع من مستوى الضغوط الإنسانية داخل بيئته، ويحمل أبعادا تطال التوازنات الاجتماعية والديموغرافية في لبنان.

رفع هذا التهديد بإيقاعات تدريجية الضغوط على الحكومة اللبنانية سواء على مستوى إدارة أزمة النزوح الجماعي أو على مستوى أمني يهدد بانفلات الشارع بين الجماعات المتخاصمة. وأضيفت خطة التدمير المتدرج للضاحية إلى بدء إسرائيل توغل بري إضافة إلى حملة قصف تشمل قيادات وبنى تحتية عسكرية في كامل الأراضي اللبنانية. ■

*صحافي وكاتب سياسي

النص الكامل على موقعنا الإلكتروني

وجهة نظر

لا تسألوني عن الأسطورة في لبنان!

البروفسور
نسيم الخوري*

تفترض الأسئلة في لبنان الفهم الصعب والمعقّد توخّياً للدقّة في كشف تاريخ وطني بتراكماته الطائفية والمذهبية.

لماذا هذه الاستهلالية؟

لأنني أرى لبنان مسكوناً بأجوبة مسكونة بدورها بأسئلة لا تنتهي لكأن اغتيال الرئيس رفيق الحريري والإمام موسى الصدر متشابهين وحافلين أبداً بالاستحضار اليومي لتداعيات الانقسامات واللجوء إلى توليد مناخات تتجدد لكونها مقيمة في مقدمات الذاكرات السياسية وقُل الحزبية.

موتان أسطوريان يصعب محوهما من ذاكرة تاريخ لبنان المعاصر. لا أقصد أن اللبنانيين أقاموا جميعاً كي لا أقول إنهم مقيمون بحقّ في جريمتي خطف الإمام موسى الصدر وقتله في ليبيا في 31 آب/أغسطس عام 1978 واغتيال الشيخ الرئيس رفيق الحريري في 14شباط/ فبراير عام 2005 في قلب «بيروت: المدينة العريقة للمستقبل». أقصد هنا التوليد لتداعياتهما المُقيمة في المُقال والمكتوب. تغيّرت ملامح السلطات والطوائف والإعلاميين ومدى توزعهم بل تشتتهم في لبنان بحيث بدت مستقرّة على الأرجح، وهذا صحيح، لكن البذرة بقيت حية. هكذا... يبدو لبنان الصغير بحجمه وبمواقعه وصلاته العالمية المتنوعة جاهزاً، للأسف، للانخراط بأحداث أسطورية خفت أو قوي صداها بما يُشغل أو يُشعل انتباه الدول الإقليمية والعالمية.

ما يُكابده اللبنانيون وإخواننا العرب اليوم يبلغ حدّ الأسطورة في تلمّس ملامح المستقبل ووجهة العالم بكلّ ما تضمره هذه العلاقات في دنيا رقمية يغطس فيها الجميع تمكّناً من سلطات تفيض بالذكاء الطبيعي برأيي لا الاصطناعي إذ بات الإعلام أمامنا السلطة الأولى لا الرابعة وفقاً لما أثبته الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو معلناً النظام الديمقراطي عقب الثورة الفرنسية عام 1789.

لو سألتني: ما هي هذه الأسطورة أو ماذا تقصد بالغياب أو الموت الأسطوري للحريري أو للصدر وغيرهما مع أن اغتيالات حصلت في التاريخ لرؤساء أميركا من إبراهام لينكولن وجون كينيدي وجيمس جارفيلد ووليم ماكينلي وثيودور روزفلت ودونالد ترامب الرئيس الحالي الذي أصيب على يد توماس ماثيو كروكس وأنور السادات 1981 وأنديرا غاندي.. على سبيل المثال لا الحصر اللذين لم يصل موتهم حدود الأساطير، لأجبتك على الفور ناقلاً ما كتبه القديس أوغسطينوس حرفيّاً في كتابه «اعترافات»:

«إنني أعرف جيّداً ما هي الأسطورة، بشرط ألا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سئلت، وأردت الجواب فسوف يعتريني الاحمرار والتلكؤ والخوف». وإليه أضيف: اللبنانيون وعددهم المقيم 6 ملايين نسمة تقريباً مسكونون أبداً بالخوف والانقسام الطائفي والمذهبي والدولي كما بالهجرة والتشرد والموت بمعنى القتل فلا تنس إذن مشقّة أنك تُفكّر وتكتب وتتذكر في لبنان ومنه، هذا الوطن الصغير عاشق الكلام والمبالغات المذهبية والطائفية والأسطورية والحروب بما جعل عدد اللبنانيين المنتشرين في العالم بسبب الحروب والأزمات يتجاوز ال 15 مليون.

لبنان المعاصر مقيم اليوم على عتبة المتاهة وأمامه موتان أسطوريان يستلزمان سؤالاً أسطورياً: أكان يُدرك العالم تداعيات تلفّظه المخزونة بالحكم على أحفاد الخميني أعني مقاوماً واحداً من حزب الله باغتيال رفيق الحريري؟

أقصد ببساطة هنا، أن ما لحق ويلحق وسيلحق بهذين الغيابين سواء أكانا محكومين بالصدفة أو بالواقع أو بالخيال من قبل المخيلات الشعبية والحملات الإعلامية والشبكات التواصليّة، جاءا ليحوّلا الموت إلى مشجبٍ تاريخي تعلّق عليه الفئات والأحزاب والأفراد والجماعات والطوائف ما تشاء أو ترغب أو تحلم من أفكارٍ مكبوتة أو غير مكبوتة محلية أو مستوردة أو مدفوعة مذ عبس المسلمون في وجوه بعضهم البعض فتفرقوا أيدي سبأ. قد يصل الأمر إلى اختلاق أقاصيص تشارف الملاحم والأساطير وروايات تواريخ اليونان والفراعنة اليوم مع أهوال ما يحصل حيث اختلط الفكر للأسف بالخيال، والسحر بالوجدان والعلم بالتركيب التاريخي والطائفي نبشاً للحكايات والأحداث المنسيّة والمواقف المتجددة التي لم ترقد بعد في الرماد. وفقاً لهذا المناخ الذي أنقله بورعٍ عظيم، بدا هذا النوع من الموت أو الغياب حاجةً روحية تضخمت كأنه لا غنى عنها لأن فيها ومنها ترصد انفعالات الناس الشعورية واللاشعورية وتأملاتهم المستقبلية المدفونة، وتصبح تلك الأسطورة فنوناً سياسية وحزبية وإعلامية خطرة بل متاهة وطنيّة عظمى وخطيرة.

نعم، يعيش لبنان بعد هذين الاستشهادين في قلقٍ عظيم.

كيف؟ بسطرين:

خرج الإمام موسى الصدر والشيخ الرئيس رفيق الحريري في رحلتين أسطوريتين متباعدتين. الأوّل نسيب الإمام الخميني في إيران، جاء من قم في 1958 ليمنحه الرئيس اللبناني فؤاد شهاب الجنسية اللبنانية بعد فترة قصيرة على حضوره. أسس «حركة المحرومين» ثمّ «حركة أمل» وهندس العلاقات الخاصة السورية ـ الإيرانية التي بدأت لبنتها الأولى في لبنان وتأسّس حزب الله. خرج الحريري من جرح سمكةٍ شاردة في الشاطئ الصيداوي جنوبي لبنان نحو بستانٍ برتقال قريبٍ ومألوف، ومنها حمل زاده في القوميّة العربيّة مهاجراً الى المملكة العربيّة السعودية وفي ذهنه ولدت بيروت: «مدينة عريقة للمستقبل» فكنت معه ومعه رجعت بعد هجرة علمية وإعلامية سياسية طويلة نحو باريس. طمح الى إخراج لبنان من جروحه المثخنة بالحروب الأهليّة الى وطنٍ متين جعله «زهرة الشرق» وفقاً لتعبيره المألوف. كانت ابتسامته الضبابيّة تخفي رجلاً تتخطّى أحلامه لبنان والعرب والشرق الأوسط.

سأل صحافي الحريري في قصر قريطم بحضوري:

ـ تستعمل، على الدوام، تعبيراً يحفظه اللبنانيون وهو أنّ الله قد أكرمك.

○ نعم، فعلاً أكرمني الله.

ـ تستطيع دولة الرئيس أن تقتني ما تشاء وفقاً لهذا الإكرام. مرّةً أجبت عن حجم ثروتك الشخصية بأنّ الجواب يتغيّر عند طرح السؤال وبعده... أعذرني... أين تريد الوصول يا دولة الرئيس؟ قفز الاحمرار الى صفحته، ولمعت عيناه ببريق دمعةٍ لم تصل وقال بصوت لا يُوصف:

○ اسمع. الله أكرمني...لو يرجع لي ولدي الذي قتل بحادث سيرٍ في أميركا، ليستعد منّي ما أكرمني وسيكرمني به.

لا تحتمل الأسئلة الأسطورية الإجابات إذا ما اتّشحت بالأسرار في الأغوار. ■

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

حزب الله... التمسك بالسلاح خسارة للوجود اللبناني والإقليمي

بيروت: محمد المشنوق*

تعد الحرب الأميركية الإسرائيلية على إيران وتصاعد حرب اسرائيل ضد «حزب الله» والتوترات في لبنان معضلة معقدة تحمل في طياتها تداعيات جذرية على الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، فضلاً عن تأثيراتها الاقتصادية العالمية.

نادراً ما تخلو الحروب من ضحايا، وغالباً ما يتحمل المدنيون وزر تبعاتها. في ظل هذه الحرب المستمرة، باتت دول المنطقة تعيش حالة من عدم اليقين والتوتر المتزايد، حيث تقدّم إحصاءات النزوح والمآسي الإنسانية صورة مؤلمة عن الواقع. وأكثر ما يثير القلق هو أن هذه الحرب قد تؤدي إلى زعزعة استقرار الدول الخليجية، مما يترتب عليه تبعات اقتصادية وخيمة تبدأ من ارتفاع أسعار النفط إلى اضطرابات سلاسل الإمداد.

تظهر الاستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية عجزاً واضحاً في تحقيق الأهداف المحددة، إذ بدلاً من إضعاف سلطة النظام الإيراني، تبدو إيران أكثر اتساقاً تحت قيادة جديدة، مما يشي بفشل المخطط الهادف إلى تفكيك النظام الثيوقراطي. بل إن النتائج المحتملة لهذه الحرب يمكن أن تؤدي إلى تعزيز القدرات النووية الإيرانية في حال استمر الصراع، ما يخلق معادلة من الفوضى في المنطقة.

في هذا السياق، لا بد من تحليل أبعاد الحرب على إيران ولبنان من خلال دراسة النتائج الحقيقية لهذه الحرب المستمرة، واستكشاف كيف يمكن لهذا الصراع أن يعيد تشكيل الديناميات السياسية والاقتصادية في المنطقة والعالم، مع تسليط الضوء على كيفية مواجهة هذه التحديات في المستقبل.

النسبة لحرب اسرائيل وحزب الله يعتقد المعلقون أن هناك ثلاثة سيناريوهات رئيسية لكيفية انتهاء الحرب الحالية بين إسرائيل وحزب الله. لكل سيناريو عواقب مختلفة تمامًا على لبنان.

الحرب المحدودة : وقف إطلاق النار المتفاوض عليه (السيناريو الأكثر استقرارًا). في هذا السيناريو تقوم إسرائيل بتنفيذ عمليات برية محدودة جنوب نهر الليطاني.ويتعرض حزب الله لضغوط عسكرية لكنه يبقى متماسكًا. وتدفع الولايات المتحدة وفرنسا وآخرون نحو وقف النار وترتيبات أمنية.

الخطوات المحتملة: نشر قوى للجيش اللبناني في الجنوب.

ودور موسع لقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان وتنفيذ جزئي لقرار مجلس الأمن رقم 1701.

النتيجة: يمكن أن يسحب حزب الله قواته شمال الليطاني. ويمكن ان تتوقف إسرائيل عن العمليات الكبرى.قد يؤدي هذا الى استئناف الدبلوماسية.

سيكون هذا مشابهًا لنهاية حرب لبنان عام 2006، ولكن مع تطبيق أكثر دقة.

خيار جديد قد يكون توسع حرب التراشق الى حرب برية كبيرة اعد لها وزير الدفاع الإسرائيلي عنوان حماية سكان شمال اسرائيل.

في هذا السيناريو: تطلق إسرائيل غزوًا كبيرًا لجنوب لبنان. ومحاولة تفكيك البنية التحتية العسكرية لحزب الله.

التطورات المحتملة:

- القتال في العديد من المدن الجنوبية.
- غارات جوية كثيفة على لبنان.
- تشريد جماعي للمدنيين.

قد تحاول إسرائيل التحكم في الأراضي جنوب الليطاني وتدمير مستودعات الصواريخ والأنفاق ودفع حزب الله بعيدًا إلى الشمال.

العواقب على لبنان: تدمير شديد في البنية التحتية وانهيار اقتصادي كبير ومئات الآلاف من المشردين الآخرين.

في هذا السيناريو وحتى لو نجحت إسرائيل عسكريًا، فمن المحتمل أن يبقى حزب الله سياسيًا، كما حدث بعد عام 2006.

ونصل الى سيناريو أسوأ الحالات حيث تتوسع النزاعات لتتجاوز لبنان وإسرائيل.

القوى الفاعلة المحتملة: إيران تدعم التصعيد بشكل غير مباشر أو مباشر وميليشيات في سوريا والعراق تنضم إلى القتال.

يمكن أن يؤدي هذا إلى غارات في جميع أنحاء المنطقة واضطرابات كبيرة في طرق الشحن والطاقة مع احتمال تورط الولايات المتحدة.

بالنسبة للبنان. سيكون هذا السيناريو كارثيًا وقد تنهار المؤسسات الحكومية تمامًا وتصبح مناطق كبيرة من البلاد غير قابلة للحكم. وهذا هو السيناريو الذي تحاول الدبلوماسية الدولية بشدة منعه.

أفواج من المقاومة الإسلامية «حزب الله» في لبنان

الواقع غير المريح للبنان

حتى في أفضل السيناريوهات، قد تلزم الحرب لبنان بمواجهة قضايا تم تأجيلها لعقود مثل من يسيطر على الأسلحة في البلاد وما هو دور حزب الله.

وهل بمكن إحياء تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 1701.

وتبقى هذه الأسئلة مرتبطة مباشرة بما إذا كانت الحرب ستستمر أم ستتوقف.

وفي هذا السيناريو إذا احتلت إسرائيل بالفعل كامل الأراضي جنوب الليطاني، فسيكون ذلك بمثابة أكبر تحول استراتيجي على الجبهة اللبنانية منذ انسحاب إسرائيل في عام 2000.

كل الاحتمالات مطروحة في الاسابيع القادمة ولا تكفي تصريحات الرئيس الاميركي عن نجاح القصف على ايران للسؤال عن ما اذا كان ترامب سيعلن نهاية استسلام طهران وانتظار تغير النظام.

لا تبدو في الأفق ملامح نهاية السلطة في ايران ولا تقف الصواريخ بعد اوهام اختفائها.

انقلاب في حزب الله

يظهر الانقلاب في تغيير في التوجه الاعلامي وغياب التحرك السياسي اليومي وغياب مجموعة قيادية تضم وفيق صفا وبروز قيادات الصف الثاني الذي تم اعداده من حرس الثورة وتم فرضه على جميع الوحدات بما فيها وحدات الصواريخ والمسيرات.

لقد برزت التغيرات تدريجياً ولم يعرف بتفاصيلها عدد كبير من القياديين بعد ان اختارت مجموعة حرس الثورة الفرق الصغيرة التي لا تزيد عن 20 مقاتلاً وتميزت بعدم الاتصال مع الفرق الاخرى والاكتفاء بالقرارات التي تتلقاها.

واذا كانت القيادة الجديدة حريصة على سرّية تحركاتها فقد شعرت القوى السياسية في لبنان بعجزها عن التنبوء بالشؤون الحزبية والإكتفاء بما يصلها وهو لا يكفي لتحليل الخطوات المستقبلية ولاسيما على صعيد العلاقة مع الحرس الشعبي ومواجهة الحرب التي تشنها اسرائيل والولايات المتحدة ضد ايران نظاماً وقوة عسكرية قادرة.

الحزب تاريخياً ومستقبلاً

منذ تأسيسه، أصبح حزب الله قوة رئيسية في لبنان ومنطقة الشرق الأوسط، بفضل رؤية استراتيجية تتجاوز الحدود الوطنية وتتوافق مع المشروع الإيراني. تعكس هذه الرؤية سعي الحزب إلى بناء قوة عسكرية، لكنها تشمل أيضاً التغلغل في المؤسسات اللبنانية والمجتمع، مما جعله قوة مؤثرة في المعادلات السياسية في لبنان والشرق الاوسط.

لفهم هذا النظام المعقد، من الضروري النظر إلى جذور الحزب وأهدافه بعيداً عن تحليل السلاح، حيث يُعد السلاح بمثابة رأس جبل الجليد فقط.

يمثل حزب الله تجسيداً لمشروع إيراني يسعى إلى إنشاء محور يربط بين طهران ودمشق وبيروت، مع استغلال الدين كقاعدة للنفوذ والسلطة. يعكس هذا المشروع إدراكًا للأهمية الإيديولوجية الشيعية ويهدف إلى تعزيز الموقف في مواجهة ما يعتبره الحزب هيمنة غربية وصهيونية على المنطقة. يتطلب أي نقاش حول هذا الموضوع فهمًا معمقًا يتجاوز الأبعاد العسكرية والمكاسب السياسية الفورية. «

ارجوحة الضعف والقوة

■ يُطلب من لبنان مرة أخرى أن يؤمن بخيال: أن انهيار إيران، أو حتى ضعفها الجاد، سيُنقذ البلاد بطريقة ما. بالنسبة للكثيرين، يبدو هذا بديهيًا. إذا ضعُفت إيران، ضعُف حزب الله، وإذا ضعُف حزب الله، تحرر لبنان. لكن لبنان لا يعمل وفقًا لمثل هذه الخطوط الواضحة. لم يحدث ذلك أبداً. في هذا البلد، القوة لا تختفي بشكل نظيف. إنها تتفكك، وتسري نحو الخارج، وتدعوا للتدخل، وتعود بأشكال أكثر قسوة.

لهذا السبب، فإن ضعف إيران ليس بالضرورة خبرًا جيدًا للبنان. بل قد يكون في الواقع خبرًا سيئًا جدًا. ليس لأن النفوذ الإيراني كان مفيدًا؛ فقد أضر لبنان بوضوح عن طريق ربط جزء من البلاد بأجندة استراتيجية خارجية. لكن انهيار مصدر واحد من القوة لا ينتج تلقائيًا عن السيادة. في كثير من الأحيان يُنتج فراغًا. وفي لبنان، نادرًا ما تملأ الدولة الفراغات. تُملأ بالخشية، وبالمنافسة الطائفية، وبالتدخل الأجنبي، وبالعنف.

الأشخاص الذين يتحدثون بثقة أكبر عن الحياد يرتكبون نفس الخطأ. إنهم يتحدثون وكأن الحياد إعلان، أو شعار، أو خيار بسيط. إنه ليس أي من تلك الأشياء. الحياد هو حالة تكسبها الدول التي تتحكم في حدودها، تحتكر القوة، تقود ولاءً وطنيًا، وتملك مؤسسات قوية بما يكفي لإبعاد الحروب الخارجية عن أراضيها. لا يملك لبنان أي من هذه الأمور بما فيه الكفاية. لا يمكنه ببساطة أن يُعلن نفسه حياديًا ويتوقع من المنطقة أن تحترم هذا الإعلان. دولة ضعيفة لا يمكنها أن تُحيّد نفسها بمجرد الرغبة فقط.

هذه هي الوهم المركزي في كثير من النقاش اللبناني الحالي. يتخيل البعض أنه بمجرد دفع إيران للخلف، يمكن للبنان أخيرًا أن يصبح نوعًا من المتفرج السلبي على العواصف من حوله. لكن لبنان لم يكن يومًا متفرجًا. جغرافيته، ونظامه الطائفي، وسيادته المجزأة، وتاريخه من التسلل الأجنبي لا يسمحان بهذا الرفاهية. تقع البلاد عند تقاطع مشاريع متنافسة أكبر منها، وتمتلك هيكلًا سياسيًا ضعيفًا جدًا لمقاومتها. تحت مثل هذه الظروف، الحياد ليس سياسة. إنه طموح غير مدعوم.

هناك أيضًا حقيقة أعمق يفضل الكثيرون عدم مواجهتها: عدم استقرار لبنان لم يبدأ مع إيران، ولن ينتهي مع إيران. قبل أن يصبح حزب الله القوة المسلحة المهيمنة في البلاد، كان لبنان بالفعل غير مستقر. كان نظامه السياسي ينتج بالفعل شللًا، وولاءات، وضعفًا، وصراعات متكررة. لقد زاد حزب الله من هذا الفوضى وربطها بطهران، لكنه لم يخترع المرض الكامن.

المرض أقدم: دولة ضعيفة للغاية لا يمكنها أن ترتفع فوق الطائفة، وهيكل حكم معيب للغاية لا يمكنه أن ينتج تماسكًا وطنيًا دائمًا.

لهذا السبب، فإن ضعف إيران قد يكشف لبنان بدلًا من إنقاذه. إذا تم تقليص حزب الله بينما تظل الدولة اللبنانية هشة كما كانت دائمًا، فإن لبنان لا يظهر كسيد؛ بل يظهر عاريًا. يصبح أكثر عرضة للضغط الإسرائيلي، وأكثر انفتاحًا على المساومات الخارجية حول أراضيه، وأكثر ميلًا لتصفية الحسابات الداخلية بين الفصائل الساعية لإعادة تشكيل توازن القوى. في مثل هذه اللحظات، لا تعيش البلدان مثل لبنان تجربة التحرير. بل تعيش تجربة التسلل.

هذا هو النقطة التي تغفلها البلاغة الانتصارية. من السهل التحدث بلغة النتائج الحاسمة. من السهل تخيل أن إزالة قوة هيمنة واحدة تهيء الارض لتحقيق لبنان المتماسك. لكن التاريخ يشير إلى خلاف ذلك. عندما يضعف نظام قسري قبل أن يصبح النظام الوطني المشروع جاهزًا ليحل محله، ما يتبع غالبًا ليس الهدوء بل الفوضى. لبنان مكشوف بشكل خاص لهذا النمط لأن مؤسساته ضعيفة جدًا وطبقته السياسية غير قادرة على بناء دولة مشتركة.

المأساة هي أن العديد من اللبنانيين الذين يتحدثون عن الحياد ليسوا مخطئين في ما يرغبون فيه. بل هم مخطئون في اعتقادهم أن الرغبة تكفي. بالطبع، لا ينبغي أن يكون لبنان ساحة معركة للآخرين. وبالطبع، لا ينبغي أن يكون مرتبطًا بمحاور خارجية. وبالطبع، يجب أن يستعيد الحق في تحديد الحرب والسلام لنفسه. لكن لا يتحقق أي من هذا من خلال البلاغة. إنما يتحقق فقط من خلال إعادة بناء الدولة، واستعادة احتكار القوة، وإصلاح الهيكل السياسي، وخلق مفهوم المواطنة الأكثر قوة من الولاء الطائفي. بدون ذلك، يبقى الحياد كلمة فارغة.

لذا، نعم، قد يشعر العديد من اللبنانيين بارتياح عاطفي وسياسي من ضعف إيران. قد يبدو ذلك كأنها العدالة، أو الراحة، أو الانتقام. لكن المشاعر ليست استراتيجية. إذا جاء تراجع إيران قبل أن يعيد لبنان بناء الوسائل اللازمة لحكم نفسه، فإن النتيجة قد لا تكون الحرية بل الانكشاف. وللبنان، كان الانكشاف دائمًا يأتي بثمن فادح. ■

يتطلب تشكيل حزب الله ككيان سياسي وعسكري تفكيرًا عميقًا. إذ إن السلاح الذي يمتلكه الحزب ليس مجرد أداة للسيطرة، بل جزء من هيكله الواسع الذي يضمن له القوة والنفوذ. فعلى الرغم من خطورة هذا السلاح، إلا أن الحزب يعتمد على شبكة معقدة من الروابط الاجتماعية والدينية والخدمية، مما يجعل من الصعب تفكيك الحزب دون إعادة بناء الدولة اللبنانية بالكامل.

اكتسبت سيطرة حزب الله على أجزاء واسعة من لبنان أهمية خاصة، إذ يستند إلى شبكة من المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي يعتمد عليها المواطنون، مقدماً لهم خدمات أساسية في مجالات الرعاية الصحية والتعليم والدعم الاجتماعي. من خلال هذه الروابط، يرتبط الحزب بالمجتمع اللبناني بشكل عميق، مما يجعله جزءًا لا يتجزأ من النسيج اللبناني.

تعتمد استمرارية حزب الله على قدرته على تقديم الخدمات وتلبية احتياجات المواطنين اليومية، مما يضمن له قاعدة دعم شعبي تدعم استراتيجيته. هذه الديناميكية تجعل المقاربات التقليدية للتعامل مع أمن بلا أسلحة الحزب غير كافية، إذ يجب استغلال العلاقات الاجتماعية للحد من نفوذ الحزب خدمة لمستقبل لبنان.

تطرح الأسئلة المتعلقة بالقوى اللبنانية والعربية القادرة على مواجهة نفوذ حزب الله. تحتاج تلك القوى إلى تشكيل تحالفات وتنسيق جهودها لاستعادة الهيبة لمؤسسات الدولة وتفكيك «الدويلة» العميقة، التي يمثلها الحزب. ويجب أن ندرك أن الأحزاب السياسية اللبنانية التقليدية قد استنفدت معظم فرصها بسبب صراعاتها الداخلية، مما جعل من الصعب عليها تقديم بديل حقيقي وموثوق للمواطنين.

الحزب واستغلال الأزمات

إن الوضع السياسي والاقتصادي في لبنان يعيش انهياراً غير مسبوق، حيث أدت الأزمات الاقتصادية من تضخم وركود إلى تدهور الظروف المعيشية، مما جعل من السهل على حزب الله توسيع نفوذه في تلك الظروف الصعبة. ومن خلال استغلال أزمات البلاد، يسعى الحزب إلى تأكيد قدرته على مساعدة الفقراء والمحتاجين عبر تقديم خدمات اجتماعية، مما يسهم في كسب الدعم الشعبي وتحقيق ولاءات جديدة. هذه الديناميكية تعمق من الاعتمادية على الحزب كبديل لمؤسسات الدولة العاجزة.

في هذا السياق، يبرز دور المجتمع المدني كجزء أساسي في مواجهة التحديات التي يفرضها حزب الله. يتطلب ذلك تكاتف جهود كافة الفاعلين في الساحة اللبنانية لإحداث تغيير حقيقي ومستدام، يتجاوز الانقسامات التاريخية ويفتح آفاقًا جديدة نحو استقرار لبنان وازدهاره. ■

* صحافي - وزير لبناني سابق

«لا تقاطع عدوك عندما يرتكب خطأً»

«لا تقاطع عدوك عندما يرتكب خطأً» ... وهذه هي الأسباب التي تجعل الصين صامتة تجاه إيران. الجميع يفقدون صوابهم ويسألون عن مكان بكين، بينما الولايات المتحدة وإسرائيل تقصفان شريكًا رئيسيًا للصين في مجال الطاقة؟ الجواب بسيط لدرجة أن معظم المراقبين يغفلون عنه بالكامل: الإمبراطورية تأكل نفسها، والصين تبني بالفعل البديل.

الولايات المتحدة جرّت الشرق الأوسط بأكمله إلى حرب من أجل إسرائيل، والآن تجلس السعودية، والإمارات العربية المتحدة، والكويت، وقطر في غرفة واحدة، تتحدث عن الانسحاب من العقود الأميركية وإلغاء الالتزامات الاستثمارية.

دول الخليج، التي تشكل الأساس الفعلي لدولار النفط، النظام الذي حافظ على الدولار الأميركي كعملة احتياطية للعالم منذ عام 1974، تناقش بنشاط الخروج، ولم تفعل بكين أي شيء لجعل ذلك يحدث... واشنطن فعلت ذلك بنفسها.

لكن هذا ما لا يراه الناس: الصين رأت ذلك قادمًا منذ سنوات وقد وضعت الأساس لذلك؛ حرفيًا، مبادرة الحزام والطريق قد ربطت بهدوء 150 دولة بالبنية التحتية الصينية: الموانئ، السكك الحديدية، الطرق السريعة، كابلات الألياف الضوئية، شبكات الطاقة... بينما كانت وسائل الإعلام الغربية تغطي ذلك بالكاد.

بدأت السعودية ببيع النفط للصين باليوان في عام 2023، وكان ينبغي أن تكون هذه الأخبار في الصفحة الأولى لشهر كامل، مجموعة الـ BRICS قد توسعت لتشمل السعودية، والإمارات، وإيران في نفس الكتلة، كما أن الصين أنشأت نظام CIPS كبديل مباشر لنظام SWIFT حتى يتمكن العالم غير الغربي من تسوية التجارة دون الحاجة إلى لمس الدولار، وتمت جميع هذه التحركات قبل أن يسقط أي قنبلة على إيران.

ثم هناك أفريقيا... القارة الأصغر سناً على وجه الأرض، بمتوسط عمر 19 عامًا، ومن المتوقع أن تصل إلى 2.5 مليار نسمة بحلول عام 2050، وهي أكبر قوة عاملة شهدها الكوكب على الإطلاق، وفهمت الصين قبل 20 عامًا أن من يبني بنية أفريقيا التحتية يمتلك القرن الحادي والعشرين، بينما أنفقت الولايات المتحدة 4 تريليون دولار لتدمير العراق وأفغانستان، كانت الصين تبني السكك الحديدية في كينيا، والسدود في إثيوبيا، والموانئ في جيبوتي، والطرق في نيجيريا، ومراكز التكنولوجيا في رواندا، والملاعب،

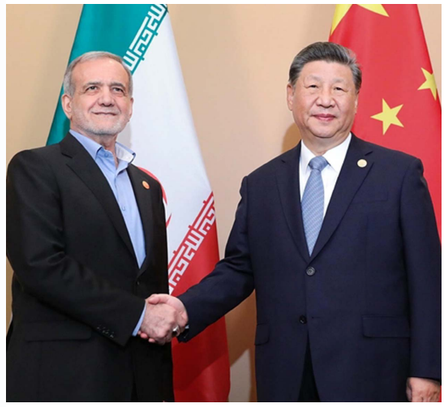

الرئيسين الصيني والإيراني

والمستشفيات، والمباني الحكومية. شبكات الاتصالات المدعومة من هواوي تنتشر عبر القارة... وقد نجحوا في ذلك دون إطلاق رصاصة واحدة، دون تغيير نظام، دون عقوبات، دون محاضرات حول الديمقراطية، فقط خرسانة، فولاذ، ألياف ضوئية، وعقود طويلة الأمد

لذا، عندما يسأل الناس لماذا تبقى الصين صامتة بشأن إيران، فإن الإجابة هي أن الصمت هو الاستراتيجية؛ فكل حرب تخوضها الولايات المتحدة لصالح إسرائيل تكلف تريليونات، وتزعزع استقرار أسواق الطاقة، وتنفّر الشركاء في الخليج، وتدفع الجنوب العالمي بالكامل نحو نظام قضت بكين عقدين في بنائه.

التحول الحالي في موقف دول الخليج ليس له علاقة بالأيديولوجيا. قامت واشنطن بتحويل حيّهم بالكامل إلى منطقة حرب لخدمة الاستراتيجية الإقليمية لتل أبيب، ثم طلبت منهم بوجه مستقيم أن يظلوا يشترون سندات الخزانة... لكن الرياضيات ببساطة توقفت عن الإضافة، وعندما تتوقف الرياضيات عن الإضافة، تتوقف الولاءات أيضًا.

صمت بكين بشأن إيران هو من أكثر التحركات صبرًا ودمارًا على اللوحة. الصين تشاهد الولايات المتحدة تفكك هيمنتها بنفسها في الزمن الحقيقي بينما ترث بهدوء كل تحالف تدمّره واشنطن. كل ما عليها هو الاستمرار في البناء والاحتفاظ بالصمت.

قال نابليون: «لا تقاطع عدوك عندما يرتكب خطأً». وقد حولت الصين ذلك إلى عقيدة لمدة 50 عامًا، وفي الوقت الحالي، فإن هذه العقيدة تؤتي ثمارها بشكل أسرع مما كان يتوقع حتى في بكين. ■

م. أ.

ليندا نصار*

الحرب وصرخة العدالة الغائبة

قرأنا عبر التاريخ عن حروب كثيرة تركت آثارها العميقة في مصير البشريّة. فالحرب ليست مجرّد تغيّر في الخرائط أو إعلان للنصر بعد تحقيق المكاسب والأهداف، بل هي لحظة مفصلية يبرز فيها سؤال جوهري: ما مصير الإنسان، وتحت أيّ قانون سيعيش بعد أن تضع الحرب أوزارها؟ وفي خضمّ هذه التحوّلات، جاء الأدب شاهدًا على تلك التجارب الإنسانية القاسية، فدوّن وقائع النزاعات الكبرى وكشف تعقّد العلاقة بين الإنسان والحرب، ولا سيّما حين تغيب القوانين وتضعف العدالة، فيعلو صوت القوّة على حساب الإنسان المقهور. وهنا يبرز دور الأدب بوصفه ذاكرة إنسانية حيّة توثّق معاناة البشر، وتعيد التفكير في التناقضات التي تخلّفها الحروب، حيث يخفت صوت المظلوم تحت وطأة الخوف، وتغيب العدالة، وتنهار القوانين. ومن خلال ذلك كلّه، يصبح الأدب مساحةً للتأمل والنقد، ومحاولة لاستعادة صوت الإنسان والدفاع عن قيم العدالة والإنصاف.

في هذا الإطار لفتني مقطع قصير شاهدته عبر الإنستغرام، يظهر قاعة محاضرات واسعة يجلس فيها عدد قليل من الطلاب منصتين إلى أستاذهم. فجأة، ومن دون مقدّمات، يطلب الأستاذ من إحدى الطالبات أن تغادر القاعة فتمتثل الطالبة للأمر وتخرج بصمت.

بعد لحظات يسأل الأستاذ الطلاب: ما الغرض من القوانين؟

تتوالى الإجابات: لحماية النظام الاجتماعي، لحماية حقوق الأفراد، لكي نتمكن من الاعتماد على الحكومة. ثم تأتي الإجابة الأخيرة :العدالة.

يسألهم الأستاذ مجددًا:

هل كنت غير عادل مع زميلتكم؟

يجيب الطلاب: نعم.

فيتابع سؤاله: لماذا لم يحتجّ أحد منكم؟ لماذا لم يحاول أحد إيقافي؟ لماذا لم يقف أحد في وجه الظلم؟

ذلك المشهد البسيط، الذي ينطلق من صرح أكاديمي، يكفي ليعلّم جيلًا كاملًا معنى العدالة وجدوى القوانين. فالحق لا يعيش إلا إذا وجد من يشهد له، والظلم لا ينتصر إلا حين يواجه الصمت. فمن يقف موقف المتفرّج يبتعد شيئًا فشيئًا عن دائرة الإنسانية، لأن الدفاع عن المظلوم ليس خيارًا أخلاقيًا فحسب، بل مسؤولية إنسانية تربّينا عليها، ومن يختبر الظلم مرة يدرك أن الصمت ليس حياداً، بل شكل آخر من أشكال المشاركة فيه.

هذا المشهد أعاد إلى ذهني صورة الحرب التي نعيشها، تلك الحرب التي تبدو وكأنها عالم مصغّر يعكس الوجه الأكثر قسوة للبشرية. فمن يراقب ما يحدث حوله يكتشف بسهولة أن الإنسانية تفقد أحيانًا أبسط معانيها.

أين العدالة؟ وأين القوانين الدولية؟ وأين تلك التفاهمات التي يفترض بها أن تضع حدًا للدمار في لبنان، بل في الشرق الأوسط بأكمله؟ ومن يمسك اليوم بزمام الأمور لينقذ البشرية من هذا الانحدار؟

عندما نتأمل الحروب بعمق نكتشف أن جذورها لا تكمن فقط في الصراعات السياسية، بل في الأهواء البشرية المظلمة: الطمع، والرغبة في السيطرة، وهيمنة القوى الكبرى التي تسعى إلى التحكم بمصائر الشعوب الضعيفة. فهل هذا هو مفهوم الوطن الذي حلم به الإنسان؟ وهل هكذا يُبنى مستقبل الشعوب؟

في خضمّ هذه الأسئلة يعود الأدب ليطرح حضوره. فالأدب، الذي يشكّل سجلّ الإنسان وذاكرته، قال كل شيء تقريبًا، بما في ذلك الحروب. ومع ذلك ما زلنا نسأل: ما جدوى الأدب؟ وما رسالته؟ وهل ما زال قادرًا على تغيير العالم أو على الأقل فضح الاستبداد وكشف قسوته؟

وسط كل هذه الدماء، يبحث الإنسان اليوم عن لحظة سلام، ولو كانت قصيرة، ونحن نعيش حالة دائمة من الترقّب والانتظار، كأننا نقف عند حافة زمن مضطرب لا نعرف متى ينتهي.

وفي كل مرة تنتهي حرب، نتساءل إن كانت الأخيرة. لكننا نكتشف أن الحرب تشبه الجمر الذي يلفظ آخر شظاياه ليترك شرارة قادرة على إشعال العالم من جديد. فالحرب لا تنطفئ بسهولة، لأن النار تبقى كامنة في الأعماق. ومع استمرارها في التدمير، تحوّل الحرب الإنسان أحيانًا إلى كائن خالٍ من الشفقة، منفصل عن القيم التي بُنيت عليها الحضارات. وأمام هذا العالم الذي تحكمه المصالح والقوة، يجد الإنسان نفسه داخل صراعات لم يخترها، فينحدر تدريجيًا نحو واقع يزداد قسوة يومًا بعد يوم.

أظن أن قصتنا مع الحرب بدأت منذ ما قبل عام 1981. لقد وُلدنا في زمن الحرب، وعشنا حربًا ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة. وفي كل مرة كنّا نقول إن هذه الحرب ستكون الأخيرة. لكن السؤال نفسه كان ينتظرنا دائمًا عند نهاية كل حرب: متى تنتهي الحروب حقًا؟

حين يتحكّم القوي بالضعيف يضيع ميزان العدالة، وحين يصبح القانون مجرد نصوص بلا قوة، تفقد المعاهدات الدولية معناها. فما قيمة تلك الاتفاقيات إذا كنا نقف اليوم على شفير الانهيار، متجهين نحو هاوية جديدة؟

لقد ظنّ الإنسان يومًا أنه يقف على عتبة التقدم، وأن العالم يتجه نحو مرحلة أكثر عدلًا ورقيًا، مرحلة تقضي على الفقر وترسّخ العدالة بين الشعوب. لكن الواقع قادنا فجأة إلى ملعب الوقت الضائع، حيث تتقدّم الحروب على كل مشاريع السلام. فمن يمسك اليوم بمصير البشر؟

ربما كانت الحياة، كما لمح الكاتب" ميلان كونديرا" في رؤيته الأدبية، في مكان آخر. مكان أكثر هدوءًا، وأكثر إنسانية، عالم يستطيع الإنسان فيه أن يعيش من دون خوف من حرب جديدة. ■

*كاتبة، شاعرة وناقدة لبنانية

هل تغيّر وجه المنطقة بالحرب الاميركية على إيران؟

حزب الله تدخل بقوة واعاد «معادلة الردع» مع اسرائيل

بيروت ـ غاصب المختار*

خاض دونالد ترامب وبنيامين نتنياهو حروبهما في الشرق الاوسط تحت عنوان كبير هو «تغيير وجه المنطقة»، ومنه تفرعت لاحقاً عناوين اخرى مثل اقتصاد المنطقة وتطبيع مع دول المنطقة، وصولا الى «الهدف الأسمى» لرئيس حكومة كيان الاحتلال بإقامة «الحلم التوراتي لإسرائيل الكبرى»، مع توسيع حدودها لتشمل بعض مناطق شمال افريقيا والخليج. وتغير وجه المنطقة فعلاً بشن حرب تدميرية امركية ـ اسرائيلية على إيران مطلع شهر آذار، لكن هذا التغيير كان معاكسا لرغبات واهداف الاميركي والاسرائيلي، بحيث لم تسقط إيران برغم اغتيال مرشدها الاعلى علي الخامنئي، وطالت الحرب كل دول الخليج والاردن وسوريا والعراق واقليمها الكردي، وامتدت الى لبنان، ولم يتحقق تشكل وجه جديد للمنطقة نتيجة صمود إيران وتدخل حزب الله اللبناني والعراقي في الحرب بقوة.

اما نتائج الحرب لا سيما الاقتصادية فقد كانت كارثية على الجميع من اميركا الى إسرائيل ودول الخليج ولبنان، وأظهرت ان السلام لا يأتي بالقوة كما يقول ترامب لانه سيخلق فوضى عارمة لا تحقق اي هدف، بل سبيله الوحيد التفاوض السلمي حتى التوصل الى اتفاق.

وفي حين ذكرت إيران ان ترامب اعتمد المراوغة والكذب في موضوع التفاوض اول مرة قبل العدوان عليها منذ أشهر قليلة، اعتمده بالامس مرة اخرى في عدوانه المشترك مع اسرائيل. بينما كان نتنياهو صريحاً أكثر بالتعبير عن رفض التفاوض وتحفيز الادارة الاميركية على الانتهاء من النظام الايراني ولاحقاً او بالتوازي كل «أذرعه في المنطقة» لا سيما حزب الله في لبنان. لكن التجربة الاولى في ضرب ايران لم تحقق النتائج المرجوة، وفي جولات التفاوض الاخيرة طرحت الادارة الاميركية عبر المفاوضَين ويتكوف وكوشنر شروطاً كانت تعلم انها تعجيزية ولن تقبل بها طهران، وكان ترامب خلال جولات التفاوض الثلاث الاخيرة يُعدّ العدة للحرب، برغم تحذيرات ايران من ان هذه المرة سيكون الرد اقسى، وبرغم تحذيرات دول الخليج من ان اي عدوان جديد قد لا ينتهي على خير. وفعلا جاء الرد الايراني اقوى وشمل كل القواعد الاميركية في

المقاومة الإسلامية في لبنان

العدوان طال بيروت

ضرب مستوطنات من لبنان

دول الخليج، وتم وقف الملاحة البحرية في مضيق هرمز.

اسرائيل وواشنطن اعلنتا ان هدف هذا العدوان هو إسقاط النظام الايراني كمقدمة لإسقاط كل المحور المتحالف معه، لكن رد الفعل الايراني برغم عنف الضربات وتأثيرها المباشر على القيادة الايرانية بخسارة العديد من قياديها وعلى رأسهم المرشد الاعلى السيد علي الخامنئي، اظهر ان تغيير وجه المنطقة ليس بالأمر اليسير، وان بداية إسقاط المشروع قد تكون من إيران، لكن أحداً لا يدري من اين سيأتي الرد ايضاً، او كيف سيتدرج اذا طال امد العدوان، وقد اتى الرد فورا من حزب الله في كامل جبهة الجنوب. ومن العراق ايضاً.

معادلة الردع

اما في لبنان، فقال البعض ان حزب الله اخطأ يوم اطلق بضعة صواريخ يوم 2 اذار على كيان الاحتلال بعد اغتيال المرشد الاعلى علي الخامنئي ، ثم صمت حتى اليوم الثاني، واعتقد البعض ان الحزب اطلق الصواريخ كـ «فشّة خلق» ورد رمزي على اغتيال المرشد الاعلى ، وكان الرد الاسرائيلي عنيفا طبعاً ما دفع الكثيرين الى توجيه الانتقادات للحزب واتخذت الحكومة قراراها بإعتبار جناحه العسكري والامني غير شرعي يجب توقيفه. لكن طبيعة المواجهات التي جرت بعد ذلك مع قوات الاحتلال القريبة من الحدود والمتوغلة في بعض نقاطها، وعودة قصف اهداف حيوية في العمق الفلسطيني المحتل بصواريخ نوعية وبعضها ثقيل وقصف المستعمرات الحدودية وتهجير المستوطنين الذين عادوا الى الشمال، اعاد تصحيح كفة الميزان بشكل ملحوظ، إذ اعتبر بعض الخبراء العسكريين ان الحزب اعاد الاعتبار الى «معادلة الردع ضد اسرائيل». ثم عاد نائب رئيس المجلس السياسي للحزب محمود قماطي ليؤكد اننا اردنا استعادة معادلة الردع.

وبعد تصعيد العدوان على لبنان بهذا الشكل العنيف منذ توقيع اتفاق وقف الاعمال العدائية وما بعده وصولا الى المرحلة الحالية، جاءت التهديدات الاسرائيلية المتتالية «بنزع سلاح الحزب بالقوة»، وكان ردّ حزب الله على الانتهاكات والخروقات لا سيما العنيفة منها، أمر متوقع من زمن لكن توقيته كان مرتبطاً بما يجري بين الولايات المتحدة الاميركية وبين ايران من تفاوض، كان واضحا انه سيفشل نتيجة الشروط الاميركية التعجيزية التي لا تقبلها اي دولة ذات سيادة، وكان واضحاً ايضاً ان التفاوض هدفه تضييع الوقت و«تنييم ايران على حرير» بينما كان يجري حشد الاساطيل والطائرات والقوى العسكرية على اختلافها، لتوجيه الضربة لإيران، ليأتي لاحقاً (او بالتوازي) دور حزب الله بعد الاستعداد العسكري الاسرائيلي الذي كان يتم بحشد القوات من نخب جيش الاحتلال وإجراء المناورات والتدريبات التي تحاكي هجوماً على لبنان كما كان يعلن جيش الاحتلال منذ اكثر من شهرين.

لكن المفاجأة للاميركي والاسرائيلي كانت في حجم الرد الايراني، ومن ردّ حزب الله الذي كان يتوقع الضربة الكبيرة وحضّر لها العدّة اللازمة، إذ تبين انه ايضاً استغل فترة اتفاق وقف إطلاق النار والتزم به برغم الخروقات الاسرائيلية، لإعادة بناء قدراته، وهو امر طالما صرّح به مسؤولوه وكان حجّة الكيان الاسرائيلي ايضا لتبرير اعتداءاته اليومية منذ سنة ونصف، لكن العدو لم يكن يعرف طبيعة وحيثيات وتفاصيل اعادة بناء القدرات، ففوجيء حسبما اعلن مسؤولوه بقوة المواجهة التي يخوضها الحزب.

وأطلق الحزب «المعركة الاستباقية» قبل معركة الاحتلال الاستباقية التي كان يتم التحضير لها. وظهرت نتائج ذلك في رد الحزب العسكري العنيف على الكيان الاسرائيلي، وبدأ الاحتلال يعلن عن قتلاه وجرحاه في المواجهات المباشرة عند الحد الحدودي الجنوبي.

وبدأت الحرب على ايران ومشاركة حزب الله فيها، تترك تأثيراتها على المنطقة ومنها لبنان، واول غيث الارتدادات تأجيل فرنسا لمؤتمر دعم الجيش والقوى الامنية الذي كان مقرراً عقده في الخامس من آذار ـ مارس الماضي، وإتُّخذتْ كل الاستعدادات والترتيبات لعقده، امّا في الارتدادات الاقليمية فهي وقوع دول الخليج العربية كافة تحت مرمى الصواريخ والطائرات المُسيرة الايرانية، واستهداف السفن الاميركية في المحيط الهادىء، وناقلات النفط في مياه الخليج بعد اغلاق ايران لمضيق هرمز الممر التجاري الحيوي لكثير من الدول، كردّ متوقع ايضا من ايران التي سبق وحذرت من ان العدوان عليها ستكون نتائجه كارثية على الجميع، وفعلا كانت كارثية.

والثابت حسبما تبين من طبيعة المعركة التي خاضها الحزب خاصة في اليوم العاشر للمعركة، انه استعد لمعركة طويلة وموجعة لإسرائيل برغم الخسائر الكبيرة في الارواح والممتلكات نتيجة الغارات الاسرائيلية، وذلك أن الحزب كما اي لبناني عاقل، تحسّب لإحتمال كبير كان وارداً بأن يقوم العدو الاسرائيلي بعدوان واسع على الجنوب، وبغطاء ناري واسع وكثيف يغطي مناطق واسعة لبناء ما اسماه المنطقة العازلة الخالية من السكان في الجنوب وتوجيه ضربة كبيرة للحزب، وقد انتظر الحزب الوقت المناسب لإستباق العدوان او لصدّه. وجاءت الحرب وعملية اغتيال الخامنئي التي قال الحزب انه لن يكون حيادياً في هذه المعركة ضد ايران المرجعية الدينية والسياسية له، فنفّذ خطوته العسكرية الردعية.

رفض التفاوض

بعد كل هذه الاحداث والتطورات العسكرية والسياسية، تقدم الرئيس اللبناني اوائل شهر اذار، بمبادرة جديدة لوقف الحرب تقوم على أربع نقاط أبرزها التفاوض المباشر المدني والعسكري بين لبنان واسرائيل للتفاهم على سبل وقف ما يجري، وتحفظ الرئيس نبيه بري على بند التفاوض المباشر وابلغ مستشار الرئيس عون (وصهره) العميد اندريه رحال بتحفظه، لكن اسرائيل رفضت الاقتراح ـ المبادرة، واعلنت بلسان اكثر من مصدر ان لا تفاوض قبل ان تتولى الدولة اللبنانية امر سلاح حزب الله بشكل نهائي.

ومع ذلك استمر تسريب المعلومات عن تحضير لبنان لوفد دبلوماسي يتولى التفاوض في قبرص يضم بول سالم وأمين عام وزارة الخارجية عبد الستار عيسى وشخصية درزية لم يُحسم إسمها بعد بين حليم أبو فخر الدين وشوقي أبو نصر.. لم يوافق الرئيس نبيه بري على تضمين الوفد شخصية شيعية إنطلاقا من تمسكه بلجنة الميكانيزم آلية للتفاوض إلى حين وقف إطلاق النار. لكن وزارة الخارجية اللبنانية اكدت لـ «الحصاد» ان لا علم لها بمثل هذا الامر، وكل ما يُشاع مجرد اقتراحات لم تبصر النور.

وهكذا غلب التصعيد العسكري على المسعى الدبلوماسي والسياسي، وانفتحت لغة السلاح على مصراعيها بين حزب الله واسرائيل في «ليلة مجنونة» كما وصفها الاعلام العبري، حيث سقط في التوقيت ذاته على الكيان الاسرائيلي نحو مائة وخمسين صاروخاً وطائرة مسيرة من لبنان بإعتراف اسرائيل، ومثلها وربما اكثر من ايران.

سوريا والدور الغامض

بالتوازي مع ما جرى في الاسبوع الاول من الحرب في لبنان، كان لافتاً قيام اسرائيل بعمليات إنزال جوي في مناطق البقاع اللبناني قرب الحدود مع سوريا بحجة البحث عن رفاة الطيار الاسرائيلي رون آراد المفقود منذ سنوات طويلة في لبنان في مدافن بلدة النبي شيث المجاورة للحدود السورية، لكن الطيران الذي حمل القوات المظلية عبر الاجواء السورية براحة وبلا اي رد فعل سوري. وكان قد بدأ الموقف السوري بالتناغم مع موقف الدولة اللبنانية وتأييد قراراتها ضد حزب الله المتعلقة بحصرية السلاح وقرار السلم والحرب، ولاحقاً بالكلام الصريح الذي عبّر عنه الرئيس السوري أحمد الشرع بعد الاتصالات التي أجراها برئيسي الجمهورية جوزيف عون والحكومة نواف سلام حيث أعلن «اننا نقف الى جانب الرئيس اللبناني في نزع سلاح حزب الله».

وفي بيروت لاقى الموقف السوري استياءً شديداً من الاوساط القريبة من حزب الله، كما اثار مخاوف لا سيما مع توارد معلومات عن حشود عسكرية سورية عند الحدود قد يكون هدفها فتح معركة ضد حزب الله في الشرق بالتوازي مع معركة اسرائيل في الجنوب. ■

* صحافي وكاتب سياسي

بعد الحرب على ايران

لجنة إدارة غزة التي أصيبت بالشلل!

فلسطين: أكرم عطاالله

إعتاد الغزيون الذين يتابعون أحداث العالم القول «إنها تحمل في أي مكان لتلد في غزة» هكذا كان التاريخ بالنسبة لهم على الأقل في فلسطين مستذكرين عدة أحداث فقد اندلعت حرب 2014 بعد أن قام عدة مستوطنين بخطف وحرق الطفل الفلسطيني محمد أبو خضير في القدس بعد إرغامه على شرب مادة البنزين لتنفجر غزة غضباً وكذلك حرب عام 2021 بسبب قرار المحكمة الإسرائيلية إخلاء بيوت للفلسطينيين في حي الشيخ جراح ومسيرة المستوطنين للمسجد الأقصى لتفتح غزة حربها وأحداث كثيرة كان فيها حادثٌ واحدٌ يكفي لإشعال حرب في غزة، تندفع وتدفع الثمن بلا شكوى.

لا يختلف الأمر كثيراً أيضاً على المستوى الإقليمي فدائماً ما كانت القضية الفلسطينية هي ضحية تحولات أحداث المنطقة بصراعاتها واتفاقاتها ليس لسبب إلا لأن الإسرائيلي في العقود الأخيرة وبسبب ما تمر به الحالة العربية من هشاشة خلفتها أسباب كثيرة لم تصبح بعد محل دراسات علماء الإجتماع العرب تحول إلى واحد من الفواعل الرئيسية في المنطقة واضعاً نصب عينه بأن أي تحرك لا بد وأن يصب في مسار تلاشي وهزيمة الفلسطينيين سواء في حروبه أو في سلامه ولأن غزة هي الخاصرة الرخوة لفلسطين كان الثمن الذي يتكثف فيها مضاعفاً لخصوصية ما سواء لموقعها الجغرافي أو لإعتبارها المنطقة التي ضمت الكتلة الأكبر للاجئين كان الثمن أكبر .

هذه المرة اندلعت حربٌ إقليمية هائلة وانتشرت فيها النار على مساحة العواصم العربية في الخليج وعلى طهران وتل أبيب الطرفان الرئيسيان للحرب لكن المدن العربية تبدو كأعراض جانبية وإن كانت في مركز الحدث لإحتوائها على قواعد أميركية مزودة بأجهزة رصد ورادارات للإنذار المبكر تعتبرها طهران جزء من الحرب وكم كان الأمر محزناً عربياً أن تتصارع دولتان اقليميتان غير عربيتان في المنطقة فتضرب العواصم العربية تلك لا تبدو أحجية بل هي واقع غارق في عبثية تتساوى تماماً مع الواقع العربي العابث .

أين فلسطين وبالأحرى أين غزة التي تحاول أن تتنفس وأن تبحث عن بقايا حياة بين الأنقاض بعد خطة الرئيس الأميركي التي طرحها في سبتمبر الماضي وتم ترسيمها في أكتوبر في شرم الشيخ ثم انتقلت لتصبح قراراً في مجلس الأمن وعلى أساسها تم تشكيل مجلس للسلام ترأسه الرئيس الأميركي دونالد ترامب بنفسه تم توقيع شركاء هذا المجلس في دافوس في الثاني والعشرين من يناير الماضي وتحت مسؤوليته مجلس تنفيذي يرأسه الدبلوماسي البلغاري السابق نيكولاي ميلادينوف والذي يشرف بدوره على لجنة تكنوقراط لإدارة غزة ومسؤولة عن تسيير الحياة فيها برئاسة علي شعث الخبير الفلسطيني الحكومي ومعه مجموعة من الكفاءات الفلسطينية .

اللجنة الوطنية لإدارة غزة «أضيف وصف الوطنية من قبل اللجنة نفسها بسبب حالة الإلتباس التي رافقت تشكيلها والدور الأميركي بذلك وحتى لا يفسر الأمر على نمط كارازاي أفغانستان أو أي ممن استدعتهم الولايات المتحدة عبر التاريخ كحكام على أنقاض الحكم الوطني للدول» وصلت اللجنة في منتصف يناير الماضي إلى القاهرة أي منذ شهرين ونصف لتسلم عملها وللإتفاق مع القوى الفاعلة وللإجتماع مع الدولة المصرية وكذلك رئيس المجلس التنفيذي نيكولاي ميلادينوف وبعض الإجتماعات التي جرت مع مساعي الرئيس الأميركي وجاريد كوشنير وستيف ويتكوف الذي يشرف منذ تشكيل الإدارة الجديدة على ملف قطاع غزة وقد حدثت تلك الإجتماعات في الأيام الأولى لوصولها كان توقع الجميع أن تنتقل اللجنة بعد أن تنهي اجتماعاتها بسرعة للقطاع لمباشرة عملها فالوقت من دم ودموع وغزة تنزف بشدة والتعليم متوقف والتلاميذ في الشارع بعد ضياع العام الثالث والقطاع الصحي مدمر وسط عشرات الآلاف من الجرحى الذين يحتاجون إلى علاج عاجل لا يحتمل التأخير .

هكذا كان متوقعاً أن تعود اللجنة في نفس الشهر خلال يناير وتبدأ بتوزيع المساعدات ومباشرة عملها بالقطاعات المعنية والتي لا تحتمل مزيداً من التأخير لكن الأمر لم يسر كذلك فقد مضى على هذا أكثر من شهرين ونصف ولا زالت اللجنة في القاهرة ولا زالت اسرائيل تقصف وتحاصر وتقتل ولا زالت اللجنة تنتظر تلك الوعود التي أغدقها الرئيس الأميركي ولا زالت لم تتسلم أية موازنة بل وأكثر من ذلك فقد تراجع الحماس الذي رافق تشكيلها وجاءت الحرب الإسرائيلية الأميركية على ايران لتقتل ما تبقى من حماس لتنزوي المسألة أو تتراجع ارتباطاً بأولويات الرئيس الأميركي التي دخلت حرباً لا يعرف أحد نهاياتها وهو من نوع الرؤساء من خارج المؤسسة وهناك خشية من استمرار هذه الحرب لفترة طويلة تكون قد أسدلت الستار على غزة وملفها وهذا يتلاءم مع مشروع اسرائيل بتهجيرها فهي بكل الظروف ليست معنية بإستقرار وإعادة إعمار يعمل على تثبيت الناس في المكان .

بالتواصل مع أحد أعضاء اللجنة قبل كتابة هذه المادة لمعرفة واقع اللجنة وما هي الخطة القادمة وآلية عملها وفترة الإنتظار إذا كانت بقرار من اللجنة أم بقرار ممن يشرف عليها أم تراخي وتراجع الإهتمام ارتباطاً بمستجدات الحريق في الإقليم وأن كانت ستستأنف عملها وهل ستنتقل إلى غزة ومتى ؟ وكثير من التساؤلات التي يمكن اختصار الإجابة عليها بقدر من الإحباط الذي ظهر واضحاً من إجابات المسؤول الفلسطيني الذي قال «قبل الحرب كنا نسير وإن ببطء وقمنا بالإعلان عن تسجيل للشرطة التي اعتبرت أساس العمل بين المواطنين والقدرة على تقديم الخدمات وتهيئة مناخات استقرار وقد تقدم ثمانون ألف مرشح وكانت اللجنة ستبدأ عمليات الفرز إلى أن قامت الحرب وتوقف كل شيء وكأنها حملت في طهران لتلد في غزة، تلك المقولة رفيقة حظ الغزيين التاريخي.

أول تداعيات حرب ايران على غزة هي أن تعلن أندونيسيا الدولة الأكثر اندفاعاً لمشروع ترامب وخططه لإرسال قواتها إلى غزة اعتذارها عن إرسال تلك القوات وتشكل تلك العثرة الأولى في العمل بخطة الرئيس الأميركي التي يبدو أنها تاهت في زحمة خرائط الحرب ليس فقط لجهة تراجع أندونيسيا بل لجهة مناخات دولية لم تعد تشعر بإمتياز تواجدها للعمل في غزة فقد انطفأ وهج العمل من أجل غزة فأندونيسيا تعتذر وترامب مشغول في حرب لم يخطط لها جيداً فقد دفعه لها نتنياهو بعد أن أقنعه بان نظام ايران سيسقط خلال أربعة أيام ويغريه بنصر سريع أما اللجنة فقد أصبحت مصابة بالشلل وعادت الامور تراوح إلى المربع الأول ، حركة حماس تسيّر الأوضاع بغزة وهذا تستغله اسرائيل لعدم التقدم أو لإعاقة أي مشروع وجيش اسرائل يسيطر على 60% من مساحة القطاع الصغير ومستمر في القتل بلا توقف ومعبر رفح مصيدة للإذلال ويعمل بأقل مما تم الإتفاق عليه خصوصاً لجهة العائدين إلى القطاع الذين يتم استجوابهم والتنكيل بهم والمعبر التجاري الوحيد «كرم أبو سالم» لا يعمل بطاقته الطبيعية لا حتى أقل فالشاحنات التي تدخل القطاع لا تكفي لحاجات الغزيين ويتسبب النقص الدائم بإرتفاع دائم في أسعار المنتجات الضرورية وتصبح تلك مأساة مضاعفة لهم لأنهم أولاً فقدوا كل مصادر رزقهم ومدخولاتهم وورشهم ومصانعهم ومزارعهم ولا قدرة شرائية تمكنهم من شراء حاجياتهم حتى باسعارها الطبيعية ما يجعل حياتهم شديدة البؤس ولكن كل تلك المصائب تأتي وسط مناخات الإحباط التي تحيط بسكان غزة وتراجع الإهتمام بها وعدم عودة اللجنة ومباشرتها لعملها وتلك أسوأ ما كان يتوقعه الغزيون الذين كانوا ينتظرون نهاية هذه الحرب والعودة لحياة طبيعية رغم إدراكهم بأنها عصية عليهم فتجربتهم مع الحزن طويلة بطول احتلال لم يتوقفوا عن مقارعته رغم فداحة الثمن وانسداد الأفق .

هذا تماماً ما أراده بنيامين نتنياهو رئيس وزراء اسرائيل وحكومته المسكونة بأساطير توراتية تصبح تلك الأساطير بالغة الخطورة حين تكون محمولة على قوة كبيرة وقنابل نووية وتقف خلفها أقوى قوة في العالم وتلك التصورات الهاذية لم تتوقف عن الحديث عن تفريغ غزة وانشاء مستوطنات على أرضها وبالنظر إلى مسار الأحداث يبدو منسجماً مع كل ما يحدث لغزة وتعذيب سكانها حتى بعد وقف الإبادة فقد انتهى للتو شهر رمضان الفقير في هذه المنطقة البائسة واشتكى السكان فيها من عدم قدرتهم على التسوق فقد بلغت أسعار الخضروات حداً لا يمكن لهم شراؤه ليكون رمضان شهراً ثقيلاً على عائلات تعيش الفقر المدقع وتمضي أيامه في خيام للنازحين بلا منزل أو مطبخ أو أي من الحد الأدنى المطلوب للحياة وهذا هو ثالث موسم رمضاني تعيشه غزة في الحرب وبعدها ولم يطرأ تحسن يذكر على الغزيين هذا الموسم رغم وقف الإبادة وخطة ترامب .

وأمام هذا الواقع ما هو مستقبل اللجنة الوطنية لإدارة غزة إذن ؟ سؤال بات يبجث يهمس به المراقبون لكنه على لسان الغزيين يتخذ شكلاً آخر عن إمكانية الحياة ووضع حد لهذا الكابوس وحول المستقبل هل سبقى الوضع كما هو عليه أم أن لهذا الليل الطويل من نهاية ؟ هل سيمعن الإسرائيلي في زيادة معاناة الغزيين ارتباطاً بإستراتيجياته في المنطقة والتي يضع الديمغرافيا الفلسطينية في مقدمتها أم سيتركهم وحال سبيلهم؟

وهذا أصبح مستبعداً بعد السابع من أكتوبر وحديثه المتكرر عن السيطرة الأمنية على قطاع غزة بل سقطت منه بعض التصريحات التي تشي برغبة السيطرة على فلسطين التاريخية من بحرها إلى نهرها وما الوجود الإسرائيلي على مساحة 60% من القطاع ليس سوى ترجمة لهذه السيطرة وعدم التعهد بالإنسحاب حتى اللحظة رغم مرور ما يقارب خمسة أشهر على وقف الحرب .

كل شيء معلق على الرئيس الأميركي الذي بدأ يشهد تعثراً في عامه الأول للولاية الثانية زاد بلة طينته الحرب التي دخلها دون حسابات دقيقة أو بحسابات اسرائيلية لم تأخذ بعين الإعتبار المصالح الأوروبية والأميركية وارتفاع أسعار النفط والغاز وحاجة الرئيس الأميركي للتباهي بانتصارات سريعة وتحصيل تريليونات فالرئيس مع كل هذا من الطبيعي أن يتراجع برنامج الفلسطينيين واهتماماته بالملف وخصوصاً أن هناك ما يلوح في الأفق عن أزمات اقتصاد بينما أعلن الرئيس ترامب عن تبرع دولته بعشرة مليارات دولار فهل لا زال التبرع قائماً أم تعثر أيضاً ؟ وهل باقي الدول وبضمنها دولاً عربية تبرعت بمليارات ومع الضربات التي تلقتها عواصمها وحاجتها لإعادة إعمار ما خربته الحرب هل لا زال لديها متسع لإعادة إعمار غزة ؟

لا يخفي الغزيون تشاؤمهم من الراهن والمستقبل بعد أن أصبحت فسحة الأمل أكثر ضيقاً لكن السؤال الذي يتعلق بمستجد الحرب على ايران ماذا سيكون تأثيرها على الفلسطينيين عموماً وعلى أهل غزة بالخصوص ؟ ولأن التجربة طويلة فإذا ما انتصرت اسرائيل وأسقطت النظام في ايران فإنها بروح هذا الإنتصار ستتسيد على الإقليم كقوة عظمى وتعود لإنهاء الملف الفلسطيني بروح المنتصر أما إذا أخفقت وانتهت هذه الحرب وبقي النظام في ايران فإنها ستسعى لتعويض هذا الفشل في الملف الفلسطيني بروح الإنتقام وما بين روح الإنتصار وروح الإنتقام يقف الفلسطيني حائراً من التاريخ الذي يحمل في كل العواصم وينزف في غزة.!

تداعيات الحرب المشتعله واحتمالات انحسارها او تمددها

لندن: أمين الغفاري*

حتى كتابة هذه السطور، مازالت الحرب التي بدأتها الولايات المتحده الامريكيه مع إسرائيل، ضد ايران مشتعله، وتتعدد التصريحات من بعض المسؤولين، الأسرائيليين والإيرانيين، حول سريان الحرب، معددين مستوى الإنجازات التي حققها كل طرف،وذلك بعد ان انسحبت الولايات المتحده،وتركت إسرائيل تنجز المهمة (وحدها)، باعتبار ان تدخلها لم يكن سوى (ضربه) (ولا يمكن لأحد ان يتصور ان إسرائيل وحدها فقط). يقولون (في الحروب دائما الحقيقه هي الضحية الأولى).

والسؤال الأهم ماهي الأهداف التي تسعى أولا أمريكا لتحقيقها وثانيا ماهى مصلحة إسرائيل في نشوب تلك الحرب ،وثالثا ماهي القدرات الايرانيه لا لكي تحقق الانتصارالمطلق، بحكم معاييرومستوى السلاح الأمريكي ،وهي قوى عظمي، بصرف النظر عن مستوى إسرائيل، وتخزينها للسلاح النووي بتفاوت معاييره ومستوياته، وما يتردد حوله .تلك هي الاسئله التي طرحت نفسها على الراي العام المحلي والإقليمي وكذلك الدولي، باعتبار ان الآثار المترتبه على تلك الحرب يمكن ان تصيب المجتمع الدولى برمته،وفي ذلك يقول (مركز سوفان للأبحاث) الى ان استهداف ايران المتعمد لقطاع الطاقه يضيف بعدا جديدا وخطيرا للصراع ،اذا تجاوز النزاع حدود المواجهة الاقليميه، ومن خلال ضرب شرايين الطاقة العالميه، وفي حدودها الدنيا مستويات ارتفاع النفط والغاز، ومدى سلامة الممرات البحريه في المنطقة،لما لها من تداعيات خطيره على المستويات الاقتصادية والاستراتيجه، حتى وان كان (ترامب) قد صرح مؤخرا ان الولايات المتحده ستقوم بواجبها في ذلك الأمر بتعويض القصور في انتاج النفط ،كما ان قواتها البحريه ستتكفل بحرية المرور وسلامتها في المضايق البحريه التي يمكن ان تتعرض للأخطار المنتظره من ايران او حلفائها .

ماذا يريد ترامب من ايران ؟

حسب الشروط المعلنه من الولايات المتحده، والتي دارت حولها الوساطات والمفاوضات على مدي شهور، فقد تمحورت شروط ترامب في الخطوط التاليه، حيث يتوقف القتال، واطلاق الانذارات ان لم تذعن ايران وتمتثل، وقد أضاف مؤخرا عبارة (الأستسلام بلا قيد او شرط).

أولا: ضرب الطموح الإيراني في المجال النووي، بامتلاك القنبله النوويه واغلاق هذا الملف، وان لم يتيسر ذلك فعلى الأقل تدميره الى حد ان تعويضه يمكن ان يستغرق عقودا من السنوات على الأقل.

ثانيا: ضرب منصات الصواريخ، وقواعدها وعلى الأخص الباليستيه،فهو يتهم ايران انها تنشط في ذلك المجال حتى تتمكن من صنع صاروخ يمكن ان يصل الى الولايات المتحده .

ثالثا: ان تكف ايران عن امداد حلفائها بالسلاح ودعم ما يسميها المنظمات (الأرهابيه) ويقصد بها حركة حماس في فلسطين والحوثيين في اليمن وحزب الله في لبنان والحشد الشعبي في العراق

رابعا: اضاف مؤخرا شرطا جديدا هو (ان يؤخذ رأيه الشخصي في من يتولى موقع المرشد) في ايران، ويلاحظ هنا ان (ترامب) سبق وان وجه ضربه لأيران زعم فيها انه قد قلص قدراتها النوويه الى حد يصعب تعويضه الا بعد عشر سنوات لكي يعود الى تخصيب اليورانيوم من جديد. فهل كانت حساباته السابقه خاطئه وان ايران مازالت تملك من القدرات ما يشكل خطرا على إسرائيل وهي محط الاهتمام والتركيز.

كما يلاحظ مرة اخري ان سلسلة العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة على ايران ،حجمت الكثير من قدراتها في الدعم المنشود لحلفائها المذكورين، وأصبحت العقوبات وحدها كفيلة بالتأثير في حساباتها النوويه او في دعمها لمجموعة حلفائها، ولذلك فان الضربة التي قامت بها الولايات المتحده ليس لها من ضرورة حتميه،ثم انها من جانب آخر تعبث بمكانة (ترامب) التي يطمع في غرسها في الضمير العالمي انه رجل سلام يقوم بانهاء الحروب وليس باشعالها.

خامسا: يقول بعض الباحثين ان نتنياهو قد ورط الرئيس (ترامب) في تلك الحرب، باعتبار ان ايران هي التي تواجه طموحات إسرائيل في المنطقه، وهي التي قامت بتجنيد حلفائها ،أو اذرعها ،وقامت بتسليحهم حتى اصبحوا شوكه في حلق إسرائيل،وهم يشيرون الى حرب 2006 حيث واجه (حزب الله) ايران، وكذلك الحوثيين، وهم الذين قصفوا إسرائيل وسفنها العابره الى (ايلات). وهي اطروحات مع وجاهتها الا انها تتجاهل، الخطه التي يتبعها (ترامب) حاليا، وهي اسقاط النظم المناوئه، دون الحاجة الى حرب شامله. هكذا فعل في (فنزويلا) حيث تم اسقاط النظام الحاكم، واستبداله بنظام صديق، وهكذا فعلت أمريكا في العراق وان كان الامر في ذلك الحين احتاج غزوا كاملا. لكن القاعده الجديده يمكن ان تستخدم عملية واحده، أي ضربه، وتتكفل المظاهرات والاحتجاجات التي كانت سائده في ايران، في القيام باسقاط النظام وان احتاجت مسانده، فيمكن استخدام العنصر الطائفي ،وهم الأكراد بتعزيز تلك الثوره ضد حكم الملالي. وعلى ذلك فان إسرائيل وحدها لم تكن المحرك،وانما طموحات (ترامب) في الاستيلاء على مواقع (الطاقه) بعد ان أصبحت (فنزويلا) و(منطقة الخليج) ترتبط بعلاقات وثقى مع الولايات المتحده، فلماذا لا تنضم ايران الى تلك العلاقه، ويتم طرد الصين، بكل تعاملاتها مع ايران، وفي ايران الجديده سوف تتم مصادرة الترديدات الايرانيه المعتاده (الشيطان الأكبر) ودون أي اسلحه نوويه او صواريخ باليستيه يمكنها ان تهدد إسرائيل ومشروعها التوسعي والذي أشار اليه صراحة السفير الأمريكي في إسرائيل (مايك هاكابي) واثار ضجه في العالم العربي.

سادسا: كانت ايران فيما سبق عنصرا أساسيا في المعسكر الغربي، وكانت في فترة (حكم الشاه) هي الشرطى المعتمد للغرب، وحين قام (مصدق) بتأميم النفط الإيراني،وفر الشاه الى أمريكا، كانت أمريكا هي من اعدت للانقلاب الذي قام به الجنرال زهدي الذي عاد بالشاه الى ايران والى سدة الحكم، اما النظام الحاكم في ايران بعد ثورة (الخميني) فقد اطلق على أمريكا (الشيطان الأكبر)، واتخذ من إسرائيل عدوا واغلق سفارتها في طهران ،وقد كانت إسرائيل على الدوام،هي مخلب القط للمعسكر الغربي، فقد استخدمتها كلا من بريطانيا وفرنسا في حرب عام 1956 بعد تأميم قناة السويس ،للهجوم على مصر،توطئة للهجوم الفرنسي البريطاني اللاحق بحجة حماية قناة السويس،كما كانت إسرائيل هي التي استخدمتها الولايات المتحده الامريكيه في عدوان عام 1967 لتصفية النظام الناصري، وتمكين إسرائيل من احتلال القدس والضفة الغربيه والجولان، وعارضت أمريكا باستخدامها حق الفيتو برفض النص الذي يطالب المتحاربين بالعودة الى قواعدهم قبل الحرب، كما كان (ترامب) هو الذي اعترف بسيادة إسرائيل على الجولان من خلال مرسوم وقعه في مارس 2019، وأيضا كان (ترامب) هو الذي اعلن نقل السفارة الاسرائيليه في 2018 الى القدس، ثم اعترافه بالقدس عاصمة لأسرائيل في مارس عام 2017.

ماذا تريد إسرائيل من ايران ؟

بعد ان تمت سلسلة الاعترافات العربيه بالكيان الصهيوني، ابتداء من مصر والأردن ثم الامارات والبحرين والمغرب والسودان، راود إسرائيل الكثير من الامل في اكمال الشوط الي نهايته ،ويدور الصراع الان حول انضمام (السعوديه) الى الدول التي تعترف بإسرائيل،وان كانت (السعوديه) تعلن شروطها وفي المقدمة منها (إقامة الدولة الفلسطينيه)، لكن ايران مازالت ترفض والأكثر من ذلك اعدادها لجيش قوى التسليح ،تعمل على دعمه بالسلاح النووي، كما ان ايران لها أيضا مشروعا في المنطقة ،تعمل جاهدة الى الوصول اليه، ومن وسائله ،تكوين وتنظيم تحالف رئيسي معها في عدة دول عربيه، وقد سبقت الاشاره الى ذلك من قبل. وإسرائيل من جانبها لا تقبل حيازة أي دوله في المنطقه لأي سلاح نووي، ولها في ذلك تاريخ يشهد بذلك، فقد كانت هي من هاجم العراق في عهد الرئيس (صدام حسين) حيث قامت بتدمير المفاعل النووي العراقي في يوم 7 يونيو 1981 عبر عملية جويه عرفت باسم(عملية اوبرا) حيث قامت ثمانية مقاتلات F15 و6 مقاتلات F16 على ارتفاع منخفض جدا لتجاوز الرادارات عبر الأجواء الاردنيه والسعوديه ،وقصفت المفاعل النووي جنوب بغداد بقنابل شديدة التوجيه حيث دمرت المفاعل بالكامل. كما تم نسب اغتيال الدكتور(يحيي المشد) وهو عالم نووي كانت له مسؤوليات جمه بشأن المفاعل النووي العراقي.

وتم اغتياله في باريس. ونتذكر ان لاسرائيل تاريخ طويل قبل ذلك ،في مطاردة مجموعة من العلماء الالمان الذي كانوا يباشرون أعمالهم في القاهره ،في عمليات تطوير الأسلحة المصريه حتى اضطرتهم لمغادرة القاهره، وينسب لأسرائيل أيضا اغتيالها لبعض العلماء المصريين في ظروف غامضه ومنهم العالمه المصريه الدكتوره سميره موسي اول عالمة ذره مصريه اغتيلت عام 1952 والدكتور سمير نجيب عام 1967 والدكتور سمير بدير، وغيرهم ،فإسرائيل لا تتسامح، لأي تهديد يعترض مسيرتها خصوصا في مجال الأبحاث النوويه.ولكي تضمن لمشروعها التقدم والازدهار، ولذلك تتصدى للقوى المناوئه، واليوم، تعاود القصة تفصيلاتها مع اختلاف الدول والوجوه.

اصبح العالم اجمع اليوم ينشغل بالمسلسل الكبير الضخم،الذي وضع هيكله الرئيس ترامب، وربط نهايته في الصراع بين طموحاته، في نشر السلام عن طريق القوة والاجبار، وليس بناءا على قواعد الحريه والعدل بين الاطراف، كما اصبح على قناعه في مواجهة العناد والتعنت الايراني ،اشد اصرارا على ضرورة الاستسلام الايراني الكامل لارادته ولمصالح الكيان الصهيوني، بديلا عن الاحتكام لسيادة القانون، وقواعد التعامل بين اعضاء المجتمع الدولي، وقد كانت هناك آمال عراض في بزوغ النجم الامريكي على الساحة الدوليه ان تكون رسول أمن وسلام للعالم اجمع ،باعتبارها غير شريكة في التاريخ الاستعماري لأوروبا، ونتذكر مبادئ الرئيس الأمريكي (ويلسون) 1918 وتضمنت أفكاره بشأن سلوك الدول في السياسة الخارجية، بما في ذلك حرية البحار، والتجارة الحرة، ومفهوم حق تقرير المصير الوطني، والعمل على تحقيق ذلك من خلال تفكيك الإمبراطوريات الأوروبية، وننظر الى (تمثال الحريه) لديها في ميدانه الفسيح ونتصور من خلال رمزية وجوده، ان تكون (امريكا) ملجأ وملاذا لقضية الحرية في العالم، لكن السياسة الأمريكيه، اختارت ان تكون طرفا في الصراع العالمي بدلا ان تكون سندا يعتمد على فكرة السلام الحاكم الذي يعتمد في قوته على نداءات الحرية والامن والاستقرار، وارساء مفاهيم التعاون بين المجتمعات، وتعميق سبل التواصل من اجل التنمية والاعمار وكفالة حقوق الانسان، واعلاء قيم الحريه لكل الشعوب، والتصدى لكل محاولات الهيمنه وسيطرة البطش. لكن نتذكر ان السياسة الأمريكيه، في عهد ايزنهاور،قد وقفت ضد الغزو الامريكي الفرنسي الاسرائيلي لمصر 1956 أثر تأميم (قناة السويس) ليس ايمانا بقضايا الحرية والاستقلال وحق مصر المشروع في قناة تمر عبراراضيها، ولكن لأنها كانت تريد ان ترث الاستعمارين البريطاني والفرنسي في المنطقه، ولذلك كان مشروع (ايزنهاور، ونظرية الفراغ). تتسائل لماذا غضت الولايات المتحده الطرف عن قنبلة كوريا الشماليه). ذلك لأنها لا تستطيع ان تقترب من نفوذ ومصالح (الدب الروسي) و(التنين الصيني)، ولماذا ايضا تجاهلت (القنبله النوويه الباكستانيه) و(القنبله النوويه الهنديه) والجواب انها مناطق بعيده عن مصالحها ثم ان تلك القنابل يتخذها الطرفان هناك وقاية لأمنهما من تطلعات كل منهما نحوكشمير، ولاتوجد مصالح ضاغطه لأمريكا هناك كي تحتاج الى شرطى أوراعي كاسرائيل. كما لا توجد (مشكله صهيونيه وادعاءتها حول وطن مزعوم). ثم يدور السؤال الحاسم هل ستتمكن الولايات المتحده، ومعها اسرائيل في تغيير النظام الايراني، دون ان تزحف بقواتها على الارض الايرانيه، ودون ثمن عالي الكلفه بالنسبة لها؟ وهل يتحمل نظام الرئيس ترامب ذلك؟ مع ملاحظة تنامي القوى لمناهضة حكمة داخل امريكا ذاتها.

ترامب وتوابله الحراقه

ان مسلسل (ترامب) يمتد منذ العام الماضي حتى هذه الايام من شهر رمضان الكريم، وهو مسلسل تختلف وتتباين التوقعات بشأنه،وكأن مخرج المسلسل السيد ترامب يصر على وضع كل التوابل الحراقه في هذا النوع من المسلسلات، فاذا اشتدت حركة الصراع في المفاوضات التي كانت جاريه، فلا مانع من اضافة المزيد من الحشد للسلاح خصوصا حاملات الطائرات، وان اشتم بعض التسهيلات فلا مانع، من تصريح هادئ ومتزن يقول ان سبيل المفاوضات والوصول الى حلول سلميه هو الأفضل للجميع،وان عادت و تعثرت، فالعوده الى التصريحات الناريه من جديد على غرار تصريحاته ازاء حماس (ان جهنم ستفتح ابوابها). وقياسا على ذلك كانت تصريحاته على الدوام حتى ان الكثير من المتابعين، قد ادركوا ان تهديداته والمبالغة في اطلاقها هي اسلوب البعض من رجال الاعمال،في ارتفاع سقف الوعود او الوعيد حتى ينال اقصى ما يستطيع الحصول عليه من مكاسب ، وهو اسلوب جديد وطارئ في السياسة الامريكيه، وضعه الرئيس (ترامب) ونرجو ان لا يشكل مدرسة بديله لأساليب السياسة الدارجه والمعروفه للساسة الكبار في انحاء العالم .

وأخيراً

يمكن تلخيص كل مايجرى على ساحة المنطقه في ثلاثة محاور:

الأول هناك مشروع صهيوني تتبناه الولايات المتحده، وينشط في حضور رئيس امريكي يريد ان يحقق إنجازا ضخما لهذا المشروع، وهو الهيمنه الصهيونيه، وتحقيق هواجسها،وقد اعلن عنه صراحة السفير الأمريكي في إسرائيل ،وقد اسلفنا الإشارة اليه. وموقفه من ايران الأن له جانبان الأول امريكي وهو الهيمنه على قواعد النفط واغلاق الباب في وجه روسيا والصين ومحاولة تشكيل منطقة الشرق الوسط من جديد، ثم حماية الكيان الصهيوني، ودعم مشروعه، في قيادة المنطقه.كما انه من جانب آخر، محل اهتمام ومتابعه من روسيا والصين إزاء المخططات الأمريكيه ،لضرب الوجود والمصالح الروسيه في المنطقه وكذلك المصالح الصينيه (الحزام والطرق الصينيه العابره في المنطقه).

الثاني مشروع فارسي تتبناه ايران وتعمل على تحقيقه،من خلال التسلح النووي، والتطور الصاروخي لأرهاب كل من يعادي مشروعها، في قيام الامبراطوريه الفارسيه، وسبق ان صرح احد مسؤوليها ان نفوذنا الأن قد امتد الى خمس عواصم عربيه ،وان بغداد ستصبح عاصمة الامبراطوريه الفارسيه، وهي لذلك تحارب من اجل وجودها بشكل انتحاري ان تحتم الأمر ولزم .

الثالث المشروع القومي العربي، وهو الذي يتعرض الأن للكثير من الطعنات، ولكنه عصى على المصادره ،لأنه ليس دخيلا ولا مستوردا من الخارج، وبحكم امتداده من حيث الجذور الى اعماق التاريخ، يحمل رائحة الأرض،وعبق التاريخ كما له اغواره البعيده في الضمير العربي ، ويرتبط في اجزائه، الموصوله ،باحكام الجغرافيا وبديهيات التاريخ وعمادها وحدة الأرض واللغة والالم والامل والمصير.

القضية الأن «يا عرب ماذا أنتم فاعلون» ؟

*كاتب وصحافي مصري

الرئيس الصيني شي جين بينج والمصالح الصينيه

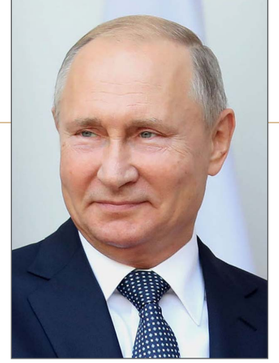

بوتين الوجود الروسي ومصالحه الرئيس

الرئيس ترامب ومحاولة رسم جديد لمنطقة الشرق الأوسط

حذر صندوق النقد الدولي مراراً من التوسع المفرط في سوق الإئتمان

بعدما تبخرت مليارات الدولارات في ثغرات الرهن المزدوج

«صراصير» الائتمان تضع النظام المالي العالمي أمام المحاسبة

كتب المحرر الإقتصادي

في بدايات عام 2026، وتحديداً حينما كانت الأسواق تحاول استشراف مسارات أسعار الفائدة وتذبذبات النمو الاقتصادي، أطلق الرئيس التنفيذي لبنك «جي بي مورغان»، جيمي ديمون، تحذيراً لم يمر مرور الكرام في أروقة «وول ستريت». فقد أشار ديمون إلى أن أسواق الائتمان لا تزال تخفي في طياتها "صراصير" كامنة، في إشارة رمزية إلى الممارسات المالية غير المنضبطة والديون المتعثرة التي تستتر خلف واجهات من الربحية المصطنعة.

لم يكن هذا التحذير مجرد لغة مجازية، بل كان تشخيصاً دقيقاً لبيئة مالية عانت لسنوات من سيولة رخيصة، ودفعت المؤسسات المالية نحو أفعال "غبية" بحثاً عن عوائد مرتفعة، وهو ما نراه اليوم يتجلى بوضوح مع انحسار موجة السيولة التي غطت لسنوات على عيوب هيكلية في دفاتر الإقراض الخاص.

التوسع في سوق الإئتمان

إن التوسع في سوق الائتمان الخاص يعد أحد أبرز التحولات المالية منذ الأزمة العالمية في 2008. ووفقاً لبيانات الاحتياطي الفيدرالي، تضخمت هذه السوق خمسة أضعاف لتقترب من عتبة تريليوني دولار عالمياً.

ولفهم جذور هذه الظاهرة، يجب العودة إلى ما بعد عام 2008؛ حين فرضت الهيئات التنظيمية حول العالم، وعلى رأسها اتفاقية "بازل 3"، قيوداً صارمة على الميزانيات العمومية للبنوك التقليدية، مما أجبرها على تقليص مخاطرها والاحتفاظ باحتياطيات رأسمالية أعلى. وبينما نجحت هذه الإجراءات في تعزيز صلابة البنوك الكبرى وجعلها "أكبر من أن تفشل"، إلا أنها خلقت في الوقت ذاته "فراغاً ائتمانياً"؛ حيث أصبحت الشركات المتوسطة والناشئة عاجزة عن الوصول إلى رأس المال عبر القنوات التقليدية.

هذا الفراغ أدى إلى ولادة «نظام الظل المصرفي» بعباءة جديدة؛ حيث حلّ مديرو الأصول، وصناديق التحوط، وشركات الائتمان الخاص محل البنوك. واليوم، نجد أننا بينما قمنا بتأمين النظام المصرفي ضد صدمات عام 2008، قمنا بنقل المخاطر إلى أطراف أكثر تعقيداً وأقل شفافية، مما جعل النظام المالي العالمي في عام 2026 أكثر عرضة للعدوى.

دور البنوك المركزية في تضخيم الفقاعة

لا يمكن فهم هذا التوسع بمعزل عن السياسات النقدية التي انتهجتها البنوك المركزية الكبرى على مدار العقد الماضي. فقد أدى التوسع النقدي الكمي والأسعار المفرطة في انخفاضها إلى خلق حالة من البحث اليائس عن العائد. وفي بيئة أسعار فائدة كانت تقترب من الصفر، لم يعد المستثمرون المؤسسيون، مثل صناديق التقاعد وشركات التأمين، قادرين على تحقيق عوائد تكفي لتغطية التزاماتهم طويلة الأجل من خلال أدوات الدخل الثابت التقليدية أو السندات الحكومية. هذا الضغط دفعهم إلى دفع السيولة نحو محافظ الائتمان الخاص، مما خلق «طلباً اصطناعياً» هائلاً.

وعندما بدأت البنوك المركزية في 2025 و2026 برفع أسعار الفائدة لمواجهة التضخم، اصطدم هذا التوسع الائتماني بجدار الواقع. لم يكن هناك وقت كافٍ لهؤلاء المقرضين لإعادة تقييم المخاطر، مما جعل المحافظ التي بُنيت في عصر المال الرخيص عرضة لخطر الانهيار تحت وطأة تكاليف خدمة الدين المرتفعة. وقد تحوّلت السياسة النقدية، التي كانت في البدء صمام أمان للنظام، بمرور الوقت إلى محرك لفقاعة ائتمانية تتطلب الآن تدخلاً حذراً ومكلفاً.

صندوق النقد الدولي وتحذيرات الاستقرار

وفي هذا السياق، دقت تقارير الاستقرار المالي لصندوق النقد الدولي ناقوس الخطر، محذرة من أن "التوسع المفرط" في هذا القطاع، المقترن بانخفاض الشفافية، يجعل من الصعب تقييم المخاطر النظامية. الصندوق أشار في تحليلاته إلى أن الائتمان الخاص يفتقر إلى آليات "تعديل الأسعار" التي تتمتع بها الأسواق العامة، مما يعني أن تعثر أصل واحد قد لا يظهر في الميزانيات إلا بعد فوات الأوان. ومع استمرار أسعار الفائدة عند مستويات مرتفعة، تآكلت هوامش الأمان، وأصبحت الأصول المعتمدة على الائتمان عرضة لإعادة تقييم حادة، وهو ما يجسد مخاوف المؤسسات الدولية من حدوث «عدوى ائتمانية» تنتقل من صناديق الظل إلى النظام المصرفي التقليدي، مما قد يضغط على السيولة في أوقات الأزمات.

انهيار مفاجئ لشركة رهن بريطاني

ويأتي الانهيار المفاجئ لشركة «ماركت فايننشال سوليوشنز» (MFS) البريطانية ليقدم البرهان العملي على تلك التحذيرات. هذا الانهيار الذي كشف عن فجوة تمويلية تناهز 930 مليون جنيه إسترليني (1.3 مليار دولار)، لم يكن صدفة تقنية، بل نتيجة حتمية لنموذج عمل يقوم على «الرهن المزدوج» وتضخيم قيمة الضمانات.

وتكشف طبيعة أزمة «إم إف إس» عن خلل هيكلي؛ حيث استغلت الشركة ثغرات الرقابة لتمويل أصول مشبوهة، معتمدة على ممارسات احتيالية أدت إلى انكشاف مؤسسات كبرى مثل «باركليز» و«جيفريز» و«أبولو» بخسائر قد تتجاوز ملياري جنيه إسترليني.

تعكس هذه الحالة كيف يمكن لنموذج «الملكية المطلقة»، حيث يسيطر أفراد على كافة مفاصل الشركة دون رقابة داخلية، أن يحول شركات الائتمان إلى «صناديق سوداء». وهذا النموذج ليس استثناءً، بل هو جزء من ثقافة «النمو السريع» التي تغلغلت في قطاع الائتمان الخاص، حيث يتم التركيز على حجم المحفظة لا جودتها.

الذكاء الاصطناعي والخطر الوجودي

تتفاقم هذه المخاطر بوجود تهديدات تكنولوجية؛ فمعظم محافظ الائتمان الخاص موجهة نحو شركات البرمجيات الناشئة التي باتت مهددة من قِبل الذكاء الاصطناعي. يتساءل الخبراء في معاهد التمويل الدولية: هل لا تزال الشركات البرمجية التي تمولها صناديق الائتمان ذات جدوى اقتصادية في عصر «الذكاء الاصطناعي العام»؟ إن هذا الشك هو «طائر الكناري في منجم الفحم» الذي ينذر بانهيارات أوسع. فالكثير من تلك الشركات لم تعد تمتلك ميزة تنافسية، ومع ذلك لا تزال محمولة على أكتاف قروض ائتمانية بأسعار فائدة مرتفعة.

لقد أصبحت البنوك الكبرى مرتبطة بتمويل مديري هذه الصناديق ذاتهم، مما يعني أن أي تعثر في سوق الائتمان الخاص سيجد طريقه فوراً إلى الميزانيات العمومية للمصارف التقليدية، مما يعيدنا إلى سيناريو الرهن العقاري في 2008، ولكن هذه المرة بأدوات رقمية معقدة.

تحذير جيمي ديمون لم يمر مرور الكرام في أروقة «وول ستريت»

معضلة «الامتثال الظاهري» والأخلاقيات المهنية

إن التدقيق في صلات «إم إف إس» كشف جانباً قاتماً يتعلق بمدى امتثال شركات الائتمان لقوانين مكافحة غسل الأموال. إذ كانت الشركة تمول استثمارات ضخمة مرتبطة بمسؤولين سياسيين، وهو ما يطرح سؤالاً جوهرياً: هل تكتفي المصارف الكبرى بمجرد «الامتثال الظاهري» للقوانين، بينما تتجاهل مؤشرات الخطر الرئيسية طالما أن المحفظة تدر عوائد مجزية؟ إن هذه القضية كشفت أن «العناية الواجبة» أصبحت عملية بيروقراطية صورية أكثر من كونها أداة فعالة لتقييم المخاطر، مما يضعنا أمام أزمة أخلاقية تضاف إلى الأزمة المالية.

أفق 2026: نحو مرحلة التصحيح القسري

إن ما نشهده اليوم حلقة في سلسلة إخفاقات تضرب شركات أميركية وأوروبية، مثل «فيرست براندز» و«تريكولور هولدينغز»، تؤكد أن ثقافة "التوسع السريع" في سوق الإقراض قد خلقت بيئة هشة. ومع تراجع السيولة، بدأت «الصراصير» تظهر في دفاتر الشركات التي اعتمدت على التجديد المستمر للديون لتغطية ثغراتها المالية. وفي ظل هذه المعطيات، تجد البنوك الدولية نفسها في موقف دفاعي، مطالبة بتعزيز معايير الرقابة والمحاسبة.

إن التحدي القادم للمنظمين في عام 2026 هو كيفية تقليص الانكشافات على القطاعات عالية المخاطر دون التسبب في أزمة سيولة أوسع، وهو توازن دقيق يتطلب شجاعة مهنية لم تكن حاضرة في السنوات الأخيرة. ويجب على المنظمين فرض قيود أكثر صرامة على «الائتمان الموازي»، وإلزام المؤسسات المالية بتقديم تقارير شفافة عن انكشافاتها على محافظ الائتمان الخاص، وهو أمر سيؤدي حتماً إلى تراجع ربحية هذا القطاع، لكنه ثمن ضروري لتجنب كارثة أوسع.

إن تحذيرات جيمي ديمون وانهيار «أم أف أس» ليسا سوى وجهين لعملة واحدة: نهاية عصر الأموال الرخيصة وبداية عصر المحاسبة. إن الدرس المستفاد من أزمة الرهن المزدوج ليس فقط تقنياً يتعلق بالضمانات، بل هو درس أخلاقي ومؤسسي. فالطمع في عوائد مرتفعة دون إجراء فحص دقيق للجودة الائتمانية هو الذي يخلق البيئة الخصبة للفساد والاحتيال.

وبينما نستقبل الربيع في مارس 2026، يبدو أن على المستثمرين أن يكونوا أكثر حذراً، وعلى البنوك أن تدرك أن «الصراصير» في دفاترها قد تكون أكثر تكلفة مما توقعت في أوقات الرخاء، وأن التصفية الحقيقية لآثار الأزمة قد تكون طويلة ومعقدة. يرى محللون هنا أننا بحاجة ماسة إلى إصلاحات بنيوية في أسواق الائتمان، تضع النزاهة والشفافية فوق طموحات التوسع غير المدروس، لضمان استقرار النظام المالي العالمي.

الحقيقة دائماً ما تظهر عندما تنحسر مياه السيولة، واليوم، يقف العالم المالي أمام مرآة تعكس حجم الأخطاء التي تراكمت خلف ستائر النمو المصطنع. إنها دعوة للاستيقاظ قبل أن يتحول «طائر الكناري» في منجم الفحم إلى إعصار مالي يقتلع ما تبقى من استقرار الأسواق العالمية. ■

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

الحروب الدولية: المدخلات والمخرجات

الحرب، كظاهرة ممتدة اقترن بها التاريخ الإنساني منذ ما قبل اتفاقية وستفاليا عام 1684 التي أسست لميلاد الدولة القومية (State) Nation في أوربا أولا والعالم لاحقا. فعلى وفق الباحث العسكري المعروف، كوينسي رايت (Quincy Wright)، شهدت مثلا المرحلة التاريخية الممتدة بين الأعوام (1480-1941) اندلاع (278) حربا. وعلى الرغم من أن عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية شهد تراجعا طفيفا في عدد الحروب بين الدول، جراء التوافقات الأمريكية–السوفيتية، بيد أن تكرار اللجوء إلى القوة العسكرية استمر، مع ذلك، عاليا. فالفترة الزمانية الممتدة مثلا بين أعوام 1992– 1945 شهدت اندلاع (75) حربا نجم عنها عدد من القتلى تجاوز مجموع قتلى حروب أربعة قرون بأكملها، كما يؤكد أستاذ السياسة الدولية تشارلز كيكلي Charles W.Kegley,Jr.

وتفيد التجربة الدولية لاستخدام القوة العسكرية، أو الحرب، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، بثمة معطيات أبرزها اثنان رئيسيان: فأما عن الأول، فهو محدودية توظيفها من قبل الدول العظمى و/أو الكبرى بعضها ضد البعض الآخر. فمثلا بين (86) حربا دولية اندلعت خلال الفترة الممتدة بين أعوام (1975–1919) كانت حصة هذه الدول (15) حربا فقط. وأما ثانيا بقية الحروب الدولية فقد دارت بين أما هذه الدول ودول في عالم الجنوب، أو في العالم الثالث كما كان يسمى خلال زمان الحرب الباردة، وبعدد (38) حربا، أو بين دول تنتمي لعالم الجنوب، وبعدد (33) حربا.

وغني عن القول إن الحروب الدولية لا تندلع من فراغ، وإنما من مدخلات/ بمعنى أسباب/ سابقة عليها وتكون عادة غير معلنة. فمثلا لم تكن حرب احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق في عام 2003 بسبب ما قيل في وقته كذبا من أن "حيازة العراق للسلاح النووي يشكل تهديدا على العالم" وإنما لأسباب لها علاقة بمخرجات الانتصار العراقي/العربي في حرب إيران على العراق عام ,1980 والخشية من ابعاده العربية الإيجابية.

على أن الاتجاه نحو ربط الحروب بتبريرات كاذبة لا يلغي واقعيا أن كثيرا من الحروب كانت حصيلة لتفاعل ثمة مدخلات نبعت من تأثير تفاعل ثلاثة مستويات في أن، هي: أولا، مستوى الفرد (صانع القرار)، كخصائص شخصيته ومدركاته وتجاربه الذاتية. وثانيا، مستوى الدولة، كقدرات وأهداف ونوعية علاقات دولية. وثالثا، مستوى النظام السياسي الدولي السائد: احادي أو ثنائي، أو متعدد الأقطاب. وقد استخدمت هذه المستويات لتفسير الحروب الدولية.

ويفيد استخدام القوة العسكرية، تهديدا أو توظيفا عمليا، بتطلع دولي اختلفت أهدافه باختلاف الزمان. ففي أوقات السلام اريد بالتهديد العسكري دعم الأدوات السلمية المستخدمة من قبل إحدى الدول لتحقيق ثمة هدف منشود من قبلها. أما في أوقات الحرب، فالتجربة تؤكد أن استخدام القوة العسكرية كان أما كأداة للدفاع، أو كأداة للهجوم. بالحرب (The War)) فهو يفيد بالاستخدام المنظم والمباشر للقوة العسكرية تأمينا لمصالح سياسية منشودة.

وتفيد التجربة التاريخية أن لجوء ثمة دول إلى توظيف القوة العسكرية، كأخر أدوات السياسة الخارجية، كان حصيلة لإدراكها المسبق إنها لا تستطيع فض صراعاتها مع غيرها بالوسائل السلمية و/أو/ القانونية وغيرها أو لفشل هذه الوسائل عند توظيفها. وبهذا المعنى تُعد الحرب، وعلى وفق راي المفكر الإستراتيجي الألماني، كارل فون كلاوزفتز (Karl Von Klausewitz) امتدادا للسياسة، ولكن بوسائل أخرى. والشيء ذاته ينسحب على مفهوم الصراع الدولي. فهو الآخر، وكما نرى، يُعد امتدادا للسياسة بأدوات متعددة منها أداة الحرب.

ولان تجربة الحروب الدولية تفيد أنها، وكما تم ذكره أعلاه، تكون محصلة لثمة مدخلات (Inputs) سابقة عليها وذات تأثير فاعل في سلوك الدول ذات العلاقة .وفضلا عن ذلك تقترن هذه الحروب وبالضرورة، بمخرجات (Outputs)، بمعنى النتائج الناجمة عنها. لذا نتساءل: ما هذه المدخلات وتلك المخرجات التي تفيد بها ظاهرة الحروب عبر الزمان ؟ وهل تتماهى الحرب الدائرة الان في منطقة الشرق الأوسط مع مدخلات ومخرجات هذه الظاهرة .

مدخلات الحروب الدولية

متعددة هي هذه المدخلات، وكذلك الرؤى الاكاديمية التي تعمد إلى تناولها. وبشأن هذه المدخلات نرى أن الحرب عبر الزمان، كما تم ذكره في أعلاه، لم تكن الا انعكاسا لتفاصيل ثلاث مدخلات اساسية مؤثرة في أنماط تفكير صناع القرار في الدول المتصارعة، هي: الفرد صانع القرار، والدولة، والنظام الدولي. ولا يتسع المجال هنا لتناول هذه التفاصيل.

وعلى الرغم من أن المدخلات اعلاه قد تؤدي ابتداء إلى اقتران العلاقة بين ثمة دولتين في وقت محدد بخصائص النزاع، او التوتر، او المنافسة، او الأزمة، بيد ان كل من هذه الخصائص لا تؤد بحد ذاتها إلى الحرب، إلا إذا تفاقمت وفشلت ادوات ادارتها وبحصيلة نهائية تؤدي إلى اندلاع الصراع بين هاتين الدولتين. وعندنا يُعد الصراع هو المدخل الأساس الدافع للحروب كافة.

وحول مفهوم تتعدد الرؤى. وبغض النظر عن تلك التي تتميز بقدر عال من العمومية والتبسيط كالقول مثلا أنه يستوي و «الخلافات التي تنشأ بين الأفراد»، أو «العداء المشترك بين الجماعات»، أو هو «مشكلة تستدعي الحل». وبالمقابل يدرك كثيرون الصراع بين دولتين أو أكثر، انطلاقا من فكرة التناقض الحاد والصريح بين المصالح و/أو القيم المنشودة.

وعليه سننطلق، من معيارين متفاعلين، هما: أولا، مدى تماهي إدراك أطراف الصراع مع واقعه الموضوعي. وثانيا، مدى الأهمية التي يحظى بها هذا الصراع من قبل اطرافه مجتمعة. وعليه نرى أن جل الصراعات الدولية تقترن عموما بنوعين اساسيين، هما: الصراعات الحقيقية، والصراعات غير الحقيقية، علما أن هذه الصراعات بنوعيها تتقابل مع أخرى ذات مضامين مختلفة .

فالصراع يكون حقيقيا (Real Conflict) عندما تفيد معطيات الواقع الموضوعي للعلاقة القائمة بين دولتين بشرطين أساسيين ومتفاعلين في أن: أولهما، تميز المصالح و/أو القيم العليا لأطرافه بتناقضها الحاد. وثانيهما، إدراك أطرافه لهذا التناقض، ومن ثم تضارب أنماط سلوكها، وتقلص خياراتها، ونزوعها إلى تسويته أما بالترغيب أو بالترهيب، سلما أو حربا. ويُعد مثلا الصراع الامريكي–السوفيتي، خلال الحرب الباردة، أحد أبرز الصراعات الدولية الحقيقية. فالممارسات السلوكية التي تميز بها تؤكد حقيقته. ولا يسمح المجال المتاح لهذا المقال بتناول هذه الممارسات أيضا.

وبالإضافة إلى أن الصراع الحقيقي يكون عادة علنيا، أو ظاهرا Manifest Conflict عندما يقترن بممارسات سلوكية تفيد به وتعبر، في الوقت ذاته، عن تصاعده إلى مرحلة متطورة، بيد أنه قد يكون أيضا كأمنا Latent Conflict خصوصا عندما لا توجد، في زمان محدد، ممارسات سلوكية عملية تدلل علية، و/أو عندما تنتفي ثمة معطيات موضوعية و/أو ذاتيه ملموسة في وقت محدد تساعد على تهيئة اللحظة المناسبة لاندلاعه، هذا رغما عن وجود أساس موضوعي له. وجراء ذلك يبقى كامنا حتى تتوفر مثل هذه اللحظة.

ويقدم الصراع الداخلي/الدولي بين الصرب من ناحية والمسلمين والكروات من ناحية اخرى خلال أعوام 1992-1995، أحد الأمثلة على الصراع، الذي تحول من حالة كامنة إلى اخرى علنية. فهذا الصراع أستمر كامنا بين أطرافه حتى تفكك الدولة اليوغسلافية عام 1990، ومن ثم أضحى لاحقا علنيا/ ظاهرا بعد إعلان الصرب استقلال جمهورية البوسنة والهرسك عام 1992 من طرف واحد.

والصراع الحقيقي يمكن أن يكون أيضا صراعا مكبوتا Conflict Suppressed عندما يتميز بسمه أساسية هي الاختلال الواضح في ميزان القوة بين أطرافه لصالح أحدهما، الامر الذي يدفع بالطرف الأقوى إلى تفضيل استخدام سياسة التهديد بالعقاب على الاستخدام العملي للإكراه المباشر، إدراكا منه لتأثير هذه السياسة في دفع الطرف الأضعف إلى الاستجابة لمطالبه.

وتتقابل الصراعات الحقيقية مع أخرى معاكسة لها. أي غير الحقيقية عندما تنتفي عنها تلك الشروط التي تجعل منها صراعات حقيقية، ويتجسد ذلك في حالتين أساسيتين:

فأما عن الأولى، فهي تكمن في سوء إدراك أحد أطراف الصراع لدالة بعض أنماط سلوك الطرف الآخر. ومثال ذلك إدراكه إن المناورات العسكرية، التي يجريها الطرف الثاني بالقرب من حدود دولة الطرف الأول، وكأنها مقدمة لسلوك عدواني عسكري عليه، و/أو للتأثير في سياسته الداخلية و/أو الخارجية، هذا على الرغم من أن هذه المناورات قد تكون أصلا لأغراض تدريبية دورية ولا غير.

وأما عن الحالة الثانية، فهي تلك التي تتجسد في عدم إدراك أحد أطراف علاقة الصراع بتناقض مصالحه مع سواه على الرغم من أن معطيات هذه العلاقة تؤكد هذا التناقض.

وعلى الرغم من تعدد هذه الصراعات غير الحقيقية، إلا أن أبرزها يكمن في ثلاثة منها ، وكالآتي: أولا، الصراعات الكاذبة False Conflicts، وهي تلك الناجمة عن إدراك أحد الأطراف، جراء نقص المعلومة الدقيقة، أنه في حالة صراع مع سواه، بيد أنه سرعان ما يكتشف لاحقا أنه كان خاطئا. وثانيا، صراعات الإحلال Displaced Conflicts، وهي تلك التي تُعبر عن دخول أحد الأطراف في علاقة صراع مع طرف بديلا عن طرف أخر ومتخذا من قضية ثانوية مدخلا لهذا الصراع.

أما النوع الثالث من الصراعات غير الحقيقية فهو يتمثل في الصراعات التي تكون في غير محلها Misplaced Conflicts أي تلك التي تندلع جراء قضية أخرى غير القضية التي كان يُفترض أن تشكل محور الصراع بين طرفين.

وعلى الرغم من أن الصراعات الدولية تكون من أنواع متعددة يتميز كل منها بخصوصيته الواضحة. بيد أن هذه الخصوصية لا تلغي أن ثمة قاسم مشترك يجمع بين أنواع الصراعات كافة، يكمن في تماثلها على مستويين متفاعلين: أولهما، اقتران الصراع بمراحل متعاقبة تعبر بمجملها عن عملية دينامية تقترن بتفاعلات سلبية أو ايجابية ذات معالم واضحة، ومضامين قد تكون متباينة أو متشابهة. أما المستوى الثاني، فهو أن التعامل مع الصراع يُعد حصيلة لأنماط من التفكير تفضي إلى الآخذ بإستراتيجيات محددة تعبر عن مضامين هذه الأنماط. ولا يتسع المجال هنا لتناول أنماط هذا التفكير في الصراع ومن ثم أنواع الإستراتيجيات المستخدمة في ادارته. ومع ذلك نقول الاتي:

غني عن القول إن الاستراتيجيات المعتمدة لإدارة الصراع سلميا عندما تفشل عندها تندلع الحروب بالضرورة. والحرب مهما طالت من حيث الزمان فلابد لها من نهاية. لذا نتساءل: فكيف كانت مخرجات/ نهايات/ الحروب الدولية في العصر الحديث؟

مخرجات الصراعات الدولية

باختصار، تكاد الدراسات، التي تناولت الصراعات الدولي، تجمع على أن ثمة قاسم مشترك يجمع بين بعضها ، وهو ان مخرجاتها، بمعنى نهاياتها، قد تستوي ومضامين اللعبة الصفرية Zero-Sum-Game، التي تفيد أن الربح الذي يحققه أحد الأطراف لذاته في الحرب يستوي والخسارة التامة التي يتعين على الطرف الاخر تحملها. ومثالها مخرجات الحرب العالمية الأولى والثانية، وكذلك حروب بعض الدول الكبرى مع دول في عالم الجنوب. وعلى العكس، تعبر مجموعة أخرى من الصراعات الدولية عن مضمون اللعبة غير الصفرية Non-Zero-Sum-Game ، أي تلك اللعبة التي لا تقوم على معادلة أما الربح أو الخسارة، وإنما على الجمع بين الربح والخسارة معا و ولكن بنسب غير متماثلة. ومثالها صراعات دول في عالم الجنوب فيما بينها بعد انتهاء الحرب الباردة . ومما ساعد على الاخذ بهذه الصراعات أن ادارتها لا تلغي أمكانية التعاون بين الدول المتحاربة، ومن ثم تنازلها المتبادل، وأن بنسب غير متعادلة، سبيلا لتسوية صراعهما ومن ثم حربهما بالصيغ السلمية. وهكذا أفادت تجربة مجمل الحروب الدولية السابقة ان مخرجاتها اقترنت أما بالربح المطلق او الخسارة المطلقة، أو الجمع غير المتعادل بين الربح والخسارة في أن .

الحرب الاميركية ـ الإيرانية الراهنة

لا يتسع المجال هنا ايضا لتناول واقع العلاقات الامريكية ـ الإيرانية خلال الزمان السابق على بدء الحرب الراهنة بين الدولتين وبدعم مباشر من الكيان الإسرائيلي للولايات المتحدة الامريكية. ومع ذلك تفيد عموم معطيات هذا الواقع أنه تميز بالتعاون كما هو الحال مثلا مع زمان الشاه وكذلك مع جل زمان الخميني وخامنئي. بيد أن هذه العلاقات لم تكن تخلو أيضا من التوترات والأزمات خلال هذا الزمان، بل وحتى من الصراع الحقيقي، بمعناه أعلاه، ولاسيما مع بداية الولاية الثانية للرئيس الأمريكي دونالد ترامب.

وفي ضوء تجارب دولية سابقة، كان بديهيا ان يؤدي فشل المحاولات المتعددة لتسوية هذا الصراع سلميا إلى بدء حرب بين طرفين ينطلق كل منهما من مشروع ينطوي على مضامين إمبريالية، فضلا عن عدم توافرهما ايضا على استعداد للتخلي عن مشاريعهما. هذا للخسارة العالية الناجمة عن مثل هذا التخلي. لذا بدأت واستمرت إحدى حروب القرن الحادي والعشرين التي تجمع بين التوظيف المكثف للأداة العسكرية المتطورة والحرب النفسية بمضامينها الصادقة والمخادعة.

ولاحتمال عدم توقف الحرب الامريكية ـ الإسرائيلية ـ الإيرانية خلال الزمان القصير القادم، إلا إنها لا بد ان تنتهي. ومن المحتمل أن تقترن هذه النهاية بأحد مشهدين اساسين: الأول، ويقترن بمضمون اللعبة الصفرية أعلاه. أما الثاني، فيفيد بمضمون اللعبة غير الصفرية أعلاه ايضا. ونحن نرجح المشهد الثاني. ومرد هذا الترجيح مدخلان: الأول امريكي، ويكمن في التفوق الأمريكي في أدوات القوة الصلبة والناعمة وعدم استطاعة إيران مقارعة هذا التفوق، هذا فضلا عن الحاجة الممتدة للسياسة الخارجية الأمريكية لدور إيران في تكريس اعتمادية دول الخليج العربي خصوصا والمشرق العربي عموما على الولايات المتحدة وبضمنه الحد من تطور علاقات هذه الدول مع القوى الدولية الصاعدة ولاسيما الصين. أما عن المدخل الثاني، فهو إيراني ويكمن في مخرجات براغماتية النظام الإيراني وحرصه على استمرارية نظامه السياسي رغما عن كل شيء، فضلا عن مخرجات الخسارة الإيرانية في هذه الحرب ومن هنا نفترض ان مضمون اللعبة غير الصفرية هو المرجح لنهاية الحرب الامريكية– الإسرائيلية– الإيرانية . وتبعا لهذا المضمون لن يكون الربح الامريكي شاملا. والشيء ذاته ينسحب على الخسارة الإيرانية. فهذه لن تكون شاملة. ومن هنا تتماهى مدخلات ومخرجات الحرب الامريكية– الإسرائيلية ـ الايرانية الراهنة مع مثيلاتها ذات العلاقة بالحروب الدولية السابقة. ■

---

*استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

لكلِّ مقامٍ ...

«سوناتا» الغبار وجدلية الفناء

من ينظر إلى هذه القطعة الفنية، إلى هذه الجنة الصغيرة، إلى هذه «السوناتا» التي اسمها لبنان، يقع، لا محالة، في ذهان عقلي وتشوّش بصري نتيجة هذا التناقض السافر بين قمّة الجمال وقعر القبح. كيف لهذا الوطن الجميل المترامي بين أوطان العرب، ببهاء لا مثيل له، وجغرافيا لا تشبه أي أرض في محيطها، وتاريخ أعرق من التاريخ نفسه، أن يبقى حائراً بين موات وانبعاث، وبين حياة وفناء؟

ما هو سر التعويذة المعلقة في عنقه لتجذب إليه حروب الأرض وموبقات العالم وشرور الكون؟ ما هو سر عطش ترابه للدم، وأرضه للدمار وسمائه للدخان؟ إن المتحاربين في هذا الوطن الصغير وعليه، لا يأبهون للمقتولين وهم يحدّقون في الضوء الأخير قبل أن يسلكوا طريق الظلمات الأبدية. إنهم لا يسمعون شهقة الضحايا وهي تختلط بصخب العالم، ولا يرَون غيوم الأحلام بالحياة، وهي تمطر موتاً كثيراً.

المتحاربون دمى الأقدار التائهة، ومرايا السراب، وأشباح الماضي.

إنهم يقتسمون الهواء الذي لم يعد يتّسع لرئة، ويوزّعون خريطة الوجع كغنائم حرب، بينما يظل الإنسان في هذا الوطن هو «المنسيّ الأكبر» في معادلات القوة. لا يدركون أن كل رصاصة تخترق جداراً، إنما تهدم في الحقيقة ركناً من ذاكرة، أو تطفئ قنديلاً في عين طفل كان يحلم بأن يرى البحر من دون دخان.

كيف لهذا التراب، الذي عُجن بأساطير الآلهة، أن يغصّ بجثث أبنائه؟ وكيف لهذه «السوناتا» أن تتحول إلى جنائزيّة صامتة يعزفها الركام على أوتار الخراب؟ يبدو أن لعنة هذا الجمال هي في كونه عصيّاً على الترويض، وأكثر سطوعاً مما تحتمله عيون العابرين فوق أشلاء الأحلام.

هكذا يظل هذا الوطن مسرحاً أبدياً لصراعٍ لا رابح فيه سوى العدم. المتحاربون، في غمرة انتشائهم بالبارود، يجهلون أنهم لا يقتلون خصوماً فحسب، بل يقتلون الفكرة التي جعلت من هذا التراب مقدّساً، ويغرسون نصالهم في خاصرة الحلم.

ويبقى السؤال المعلق كخيط دخان فوق القمم: أمن العدل أن تكون ضريبة الجمال هي الفنَاء؟ وكيف لأرضٍ، وُجدت لتكون رئةً للعالم، أن تختنق يوماً بعد يوم بدخان أبنائها؟ ربما قدّر لهذا اللبنان أن يعيش في تلك المنطقة الرمادية الفاصلة بين المعجزة والكارثة، شاهداً على أن الإنسان، حين يعميه الظلام، يغدو أشرس أعداء الجنة التي يسكنها. ■

ماجدة

ممرٌّ ضوئيّ وسط الركام

■ بين حبرِ الورقِ ولهبِ الواقع، مسافةٌ شاقة نقطعها في هذا العدد. لا أُخفيكم سرّاً، أن البحث عن ملامح نشاطٍ ثقافي وسط غبار الحروب التي تنهش جسد منطقتنا العربية، كان أشبه بالبحث عن نقطة ضوءٍ في نفقٍ مظلم. ففي زمنٍ يطغى فيه دويّ الانفجارات على صدى القصيدة، وينحسر فيه الفنّ أمام زحف الدمار، تغدو الأجندات الثقافية خاليةً إلا من وجع الصمت وانعدام الحركة.

لكننا، وبالرغم من هذا الحصار المطبق للعنف، نأبى إلا أن نكون متسلحين بالأمل. إن إصرارنا على استنطاق الثقافة في عزّ الموت ليس ترفاً فكرياً، بل هو فعلُ صمودٍ أخلاقي، ومواجهةٌ حتمية لثقافة الفناء. نحن نؤمن أن الكلمة هي المتراسُ الأخير، وأن الفكر هو جسرنا للعبور من ضيق الهدم إلى رحابة الخلق.

إن ما نقدمه اليوم، هو محاولةٌ لترميم الروح الجريحة، فنحن ندرك أن الثقافة في جوهرها هي فعلُ مقاومة، وهي الردّ الأرقى على القبح والدمار. فإذا كان العنفُ يسعى لتغييب هويتنا، فإن تمسكنا بالفعل الثقافي هو إعلانُ بقاء، وشهادةٌ على أن إرادة الحياة فينا لا تُهزم.

في هذا العدد، نفتحُ نافذةً (على ضيقها) رغم الجدران العالية، لنقول إن الثقافة ستبقى دوماً هي بوصلتنا نحو إنسانية تأبى الانكسار.

هي رحلةُ البحث عن الجمال في وسط الرماد، لعلنا نجدُ في الفكر ما يداوي جراح الواقع، ويمنحنا القوة لنستمر.

«المهرجان اللبناني للكتاب» كفعل صمود

■ في وقتٍ تفرض فيه الحرب إيقاعها القاسي، أصرّ منظمو «المهرجان اللبناني للكتاب» في الحركة الثقافية - أنطلياس (شرق بيروت) على رفع التحدي عالياً. فكان القرار حاسماً: لن يغيب عرس الكلمة مهما بلغت التحديات الأمنية والاقتصادية. أقيمت الدورة الثالثة والأربعون من قاعة دير مار الياس، برعاية رئيس الجمهورية العماد جوزف عون، كفعل صمود ثقافي ومقاومة فكرية تثبت أن لبنان لا يزال يرى في الحرف سلاحه الأقوى، وفي الثقافة جسر عبوره نحو البقاء والحرية.

المهرجان الذي امتد من 5 حتى 15 آذار 2026، استقطب مشاركة واسعة رغم الظروف، حيث فتحت عشرات دور النشر والمؤسسات الثقافية والجامعية أبواب أجنحتها للجمهور. وتنوعت المعروضات بين دور عريقة مثل «دار سائر المشرق» و«منشورات صادر»، إلى جانب أجنحة الجامعات والمراكز البحثية، مما حول المهرجان إلى مختبر للأفكار يجمع بين التاريخ، الأدب، والعلوم السياسية.

وتحدث أمين المعرض منير سلامة في الافتتاح مؤكداً "تمسك الحركة بإجراء المهرجان رغم الظروف الصعبة التي تمر على لبنان والمنطقة، وقال: «هذا المهرجان هو فعل إيمان بأهمية الكتاب في إعادة ترتيب أفكارنا وفي حفظ ذاكرة الأجيال المقبلة من التزوير في زمن تنامي السيطرة الرقمية على العقول. وهو ملاذ للمثقفين يطرحون فيه تساؤلاتهم ويرسمون آفاقا أوسع للحرية الفكرية، ويضعون حلولاً لمآزق الوطن التي أغرقنا فيها تجار السياسة والدين والوطنية، وهو أيضاً منبر لتكريم أعلام رواد ساهموا ويسهمون في النهضة العربية التي نشتاق إليها في زمن التفكك والانهيار».

وكعادته في الوفاء لرواد الفكر، خصص المهرجان برنامجاً لتكريم نخبة من «أعلام الثقافة»، وهم شخصيات أثرت الوجدان اللبناني والعربي. شملت قائمة المكرمين لهذا العام أسماء وازنة، منها: الأب البروفيسور سليم دكاش رئيس الجامعة اليسوعية، الأديب الدكتور إميل يعقوب، والأديب والشاعر عباس بيضون تقديراً لمسيرتهم الفكرية والأدبية. بالإضافة إلى تكريم شخصيات تربوية وفنية رائدة أعطت للبنان وجهه الحضاري.

لم يكتف المهرجان بالعرض، بل استضاف ماَ يقارب الأربعين ندوة ناقشت مواضيع متنوعة منها: الاقتصادية والسياسية والمصيرية، إلى الإصدارات كافة. كما شهدت منصات التواقيع حركة لافتة، حيث وقع العديد من الكتّاب إصداراتهم الجديدة وسط حضور كبير من المثقفين والطلاب، مما أثبت أن الكتاب الورقي يظل وسيلة تواصل إنسانية لا تندثر.

وعلى رغم الحرب والاعتداءات اليومية على لبنان، برهنت هذه الدورة من المهرجان أن نجاحها هو بمثابة انتصار ثقافي يسجله المنظمون في الحركة الثقافية. وكان المهرجان تعرض لانتقادات عديدة بسبب استمراره في خضم الحرب الدائرة في البلد، لكن المنظمين كان لهم رأي آخر، وهو التصدي للعنف والحروب بالثقافة والفكر والكلمة.

ندوة حول رواية قصر موال للأديبة دومينيك إدة.

من فعاليات المهرجان ويبدو البروفيسور سليم دكاش

أيقونات

لطيفة الدليمي...

الأديبة التي روّضت الفقد بالحب والحروب بالحكايا

■ ترجلت سيدةُ الحرف، الأديبة العراقية القديرة لطيفة الدليمي، عن صهوة الكتابة، تاركةً خلفها وحشةً في أروقة الرواية العربية لا يعوضها سوى إرثها السردي العظيم. رحلت وهي التي لم تكفّ يوماً عن ترميم شظايا الهوية، محولةً مآسي العراق وانكساراته إلى نصوصٍ خالدة، تتجاوز حدود الجغرافيا لتمسّ جوهر الوجود الإنساني .إن غيابها اليوم هو انطفاءُ شعلة فكرية أضاءت عتمة التحولات العربية لعقود.

اتسّم مشروع الدليمي الإبداعي بقدرة مدهشة على تطويع اللغة لتكون مرآةً للمسكوت عنه. فمن «عالم النساء الوحيدات» إلى «ضحكة اليورانيوم» وصولاً إلى مشروعها الفلسفي والأدبي في الترجمة الذي أغنى المكتبة العربية، ظلت الراحلة تبحث عن «الإنسان» في ركام الحروب والمنافي. كانت تؤمن أن الرواية هي الحصن الأخير ضد المنسيان، ولذا جاءت أعمالها بمثابة محاولات شجاعة لاسترداد الزمنَ المفقود، وإعادة الاعتبار للمهمشين والمنكسرين، وكتبت لتوقظ في القارئ وعياً جديداً بجمالية المقاومة عبر الكلمة.

كانت لطيفة تؤمن أن الكلمة هي الحصن الأخير ضد الانهيار، وظلت تكتب حتى الرمق الأخير بلياقة فكرية مدهشة، محوّلة المنفى إلى وطن من الكلمات، كمؤرّخة للروح العراقية.

برحيل الدليمي، تغلق الرواية العراقية فصلاً من فصول نضجها وتألقها. لقد كانت الراحلة جسراً بين جيل الرواد والشباب، وقامةً لم يزدها الاغتراب إلا التصاقاً بتراب الذاكرة الأولى. واليوم، إذ نودعها ستظل نصوصها «برزخاً» آمراً بين الموت والحياة، وشاهداً حياً على أن المبدعين الكبار، وإن غادروا جسداً، يظلون أحياءً في كل حرفٍ خطوه، وفي كل وعيٍ ساهموا في تشكيله. سلامٌ إلى روح لطيفة الدليمي، الأديبة التي روّضت الفقد بالحب، والحروب بالحكايا.

من مؤلفاتها:

- «النساء الوحيدات» رواية وقصص - بغداد - 1986 طبعة ثانية دار المدى 2010
- «من يرث الفردوس» رواية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، - 1989 طبعة ثانية بغداد، دار المدى 2014.
- «ضحكة اليورانيوم» رواية 2000.
- «مسرحية الليالي السومرية» نالت جائزة أفضل نص يستلهم التراث السومري - قراءة مغايرة لملحمة كلكامش.

في «شروخ المعنى... كتابات ضد الفساد»

كتاب ومبدعون مغاربة يفككون مظاهر التطبيع مع الفساد

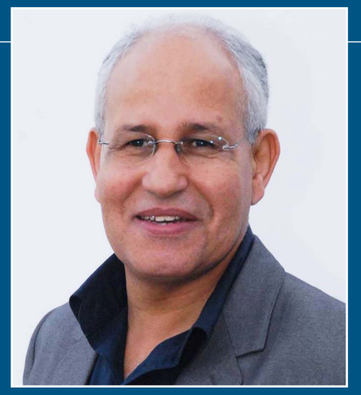

المفكر المغربي محمد نورالدين أفاية

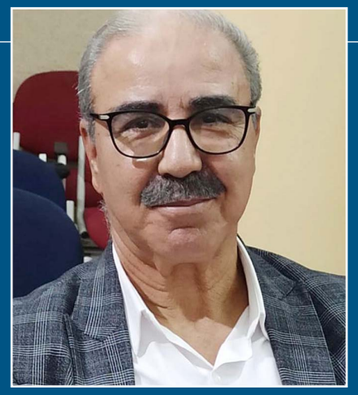

الشاعر المغربي عبد السلام المساوي

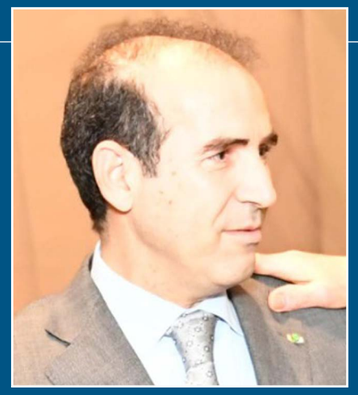

محمد بنعليلو رئيس الهيئة الوطنية للنزاهة

الروائي المغربي عبد الكريم الجويطي

الروائي والناقد المغربي محمد أمنصور

المغرب ـ سعيدة شريف*

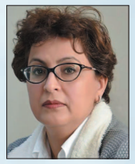

في سابقة من نوعها، لجأت «الهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها» التي تصدر بشكل دوري تقارير رسمية عن آفة الرشوة والفساد بالمغرب، إلى مجموعة من الكتاب والمبدعين للمساهمة في عمل جماعي يهدف إلى تفكيك منظومة الفساد ومظاهر التطبيع معها، والتي لم يسلم منها أي مجال في البلد، لأنها طالت حتى الجسم الثقافي والأكاديمي بالمغرب بشكل كبير، وهو بالفعل ما عبر عنه الكتاب والمبدعون 24 المساهمون في هذا العمل.

ومن هنا، يأتي هذا الكتاب الجماعي «شروخ المعنى، كتابات ضد الفساد» البعيد عن لغة الأرقام والخطابات التقريرية التي ألفت هذه الهيئة الرسمية تقديمها، ليُسمع صوت المثقف والمفكر والباحث السوسيولوجي تجاه الفساد الذي ينخر المجتمع المغربي، والذي تحول إلى «ورم سرطاني» كما يصفه الكاتب فريد الزاهي في هذا الكتاب، و«قاتل للأحلام» كما يقول عنه الكاتب أحمد لكبيري. لكن مع ذلك يظل سؤال لجوء هيئة وطنية رسمية إلى الكتاب والمثقفين باعتبارهم «صناع الوعي والمعنى من أجل فتح آفاق جديدة للتفكير الجماعي حول الفساد» يطرح نفسه وبإلحاح، خاصة أنه لا أحد من صناع القرار يلتفت إلى أصواتهم، ولا سياسة ثقافية بالبلد تعطي لهذا الفعل النبيل مكانته. وهذا ليس تبخيسا لعمل الهيئة ولا لقيمة الكتاب أنفسهم، ولكنه واقع الحال يفرض نفسه وبمرارة للأسف.

وفي تقديمه لهذا الكتاب، يوضح محمد بنعليلو رئيس «الهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها»، أن هذه الهيئة تسعى في هذا الكتاب إلى إشراك نخبة من الكتاب المغاربة في مهمة نبيلة «غايتها تفكيك هذه الظاهرة من مواقعهم المختلفة، وبأدواتهم التأملية والبلاغية والنقدية، التي تجمع بين التجربة الحياتية والرؤية الثقافية، بين الكتابة الحرة والانخراط المواطن»، مشيرا إلى أن القراءة الفكرية للفساد هي جزء لا يتجزأ من محاربته، وهي التي تسبق وتؤسس لسياسات المكافحة، وتمنحها مشروعيتها ومصداقيتها واستدامتها، كما أن المقاربة الفكرية والثقافية تشكل، في هذا السياق، رافعة أساسية لإنجاح السياسات العمومية في مجال محاربة الفساد وضمان استدامتها.

ويضيف بنعليلو أن المعركة ضد الفساد لا تخاض فقط في النصوص القانونية والمراسيم التنظيمية، ولا في أروقة المحاكم وحدها، بل يجب أن تنفتح على مجال الوعي العميق للمجتمع ووجدانه الذي يتشكل عبر الفكر والكتابة، وذلك لاقتناعه والهيئة التي يشرف عليها على أن الفساد انحراف في منظومة القيم، وأن إصلاح هذه المنظومة لا يتم فقط عبر سن القوانين والخطب الرنانة وطقوس التشريع، بل عبر تغيير النسق الثقافي والاجتماعي الذي يسمح للفساد بالبقاء، ويبرره، ويمنحه شرعية خفية، وهو ما نعته بـ «الفقه الجديد لمكافحة الفساد».

الفساد الثقافي

ويضم هذا الكتاب، الذي يقع في 122 صفحة من الحجم المتوسط، مساهمات متنوعة لـ 22 كاتبا وكاتبتين (الشاعرة ثريا ماجدولين والكاتبة والطبيبة النفسية غيثة الخياط) من مشارب فكرية مختلفة، يوحدهم الإيمان بقدرة الكلمة على التغيير، وأن من واجبهم المساهمة في هذا العمل الجماعي من أجل توسيع دائرة الاهتمام بهذه الآفة، وتشريح أشكالها وتلويناتها وأسباب تغلغلها في كل المجالات، وعلى رأسها المجال الثقافي وآثاره الوخيمة على المجتمع، حيث يقول عنه الشاعر عبد السلام المساوي بأنه «يضعف الثقة في المؤسسات الثقافية، ويقلل من إقبال الجمهور عليها، مما يؤدي إلى عزلة المثقفين وتراجع دورهم في التنوير والتوعية. كما أنه يثبط الإبداع ويقضي على روح المبادرة لدى الفنانين والمبدعين، الذين يجدون أنفسهم في بيئة لا تقدر جهودهم ولا تكافئ تميزهم. والأخطر من ذلك أن الفساد الثقافي يقوض القيم الأخلاقية، ويشجع على الانتهازية والمصلحة الذاتية، مما ينعكس سلبا على سلوك الأفراد والمجتمع ككل».

ومن جهته تساءل الناقد والروائي محمد أمنصور عن الفساد الثقافي، وقال إنه لا يمكن تصور فساد ثقافي بمعزل عن الفساد السياسي والاقتصادي وغيره، مشيرا إلى أن الفساد الثقافي نما في مغرب الاستقلال عبر مراحل، وبرزت مظاهره الأولى من خلال تفشي تسلط الحزبي على الثقافي مع إرث الحركة الوطنية الذي تحول إلى ريع لأبطال مثقفي المسلسل الديمقراطي، ومع الإسلام السياسي الذي نجح أصحابه في جب صوت المثقف المستنير والملتزم، وأغرقوا الساحة بالشعبوية وبيع التدين الشعبي والخلط بين قيم الدنيا والآخرة، ثم مع النخب المقاولة التي توظف كل الوسائل التكنولوجية ومن ضمنها الذكاء الاصطناعي أخيرا من أجل الربح وبجميع الوسائل وعلى رأسها مزج المال بالسلطة.

وعن كيفية التصدي للفساد الثقافي ومختلف مظاهره، يوضح أمنصور أنه لا يمكن ذلك من دون تخليص البلاد من الفساد الهيكلي على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن إعادة الاعتبار للمواطن عبر القضاء على الأمية ودعم صرح التعليم بمختلف أسلاكه، وإعادة الاعتبار لقيمة الثقافة في الحياة السياسية والاجتماعية للمغاربة.

الفساد في الجامعة

ومن خلال تجربة خاصة وبأسلوب أدبي شفيف يعري الواقع، يحكي الروائي المغربي عبد الكريم الجويطي عن معايشته للفساد في منطقته الزراعية بني ملال، بدءا من سوق الغنم في سبعينيات القرن الماضي حينما رافق والده في صغره وشاهد بأم عينه كيف استولى رجل سلطة «كوميسير» على أكبر الخرفان لديه المعروضة للبيع، ودس أحد أعوانه مبلغا زهيدا في يد والده المنكسر المغلوب على أمره، ومن حياته المهنية حيث كان مسؤولا جهويا في وزارة الثقافة، وشاهدا على الفساد المهول الذي ضرب المدينة، وخلف حكايات لا تصدق، حيث يقول: «ليس من السهل في أوساط متعفنة، أضاعت القيم، واختارت عبادة العجل الذهبي أن تكون نزيها، إنه عمل دؤوب على الذات، وصراع رهيب معها، كما هو تمرين شبه يومي على القناعة، وتقدير النفس لا بما تملكه ولا تتهالك عليه، وإنما بما تتعفف عنه وتنفر منه».

أما الدكتور محمد مشبال، أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بكلية الآداب بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان، فيقف عند مفارقة انتشار الفساد بالجامعة المغربية، المؤسسة العلمية التي من المفروض أن تزرع القيم وتحرص على انتشارها بين الطلبة الباحثين، ولكنها بسبب العديد من الانحرافات السلوكية تحولت إلى مرتع للفساد، صنفه الباحث إلى نمطين: «أولهما صريح وفاضح قائم على تحويل المؤسسة العلمية إلى وسيلة لكسب المال والمتاجرة غير المشروعة من خلال قبول الطالب غير المؤهل علميا بالماستر والدكتوراه، ثم تسهيل الطريق له للحصول على الشهادة، وأخيرا تمكينه من منصب أستاذ للتعليم العالي. وثانيهما فساد خفي ملطف وهو القائم على التساهل والتعاطف والتخاذل في أداء الواجب».

الدستور والفساد

وبقدر ما يفكك المشاركون في هذا الكتاب مظاهر الفساد في المجالين الثقافي والتعليمي التربوي، يقفون على أبعاده الخطيرة على المجتمع في مختلف المجالات، وعلى مقتضيات الدستور المغربي المناهض لكل أشكال الفساد، والتي تظل للأسف «مُعلقة»، كما يقول المفكر والكاتب محمد نورالدين أفاية، في حين نشهد تضخما لفظيا عن النزاهة والفساد والقيم في المغرب، وتواتر كبير للدراسات والتقارير حول الفساد الذي أصبح له للأسف «اقتصاد»، حيث تشير معطيات «الهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها» إلى استشراء الفساد وتوسعه وانتقال المغرب من الرتبة 73 من ضمن 180 دولة عام 2018 إلى الرتبة 97 عام 2023 متراجعا بـ 24 رتبة خلال السنوات الخمس الأخيرة، وهو ما يكلف البلاد 50 مليار درهم سنويا، وهو رقم يفوق ميزانية وزارة الصحة برمتها.

ويوضح الدكتور محمد نورالدين أفاية في هذا الكتاب أن النظام الديمقراطي في الدستور المغربي «أضحى ثابتا من بين الثوابت الأساسية للدولة المغربية، غير أن تصريف هذا الاختيار ما تزال تعتوره عوائق ومقاومات، منها ما يهم آليات التقييم، ومراقبة من يتصرف في المال العام ومحاسبته، ومساءلة من هو مكلف بتأمين المرافق العمومية، والحرص على المصلحة العامة. فإذا كانت ممارسة المراقبة مستويات وأشكال، فإن الجشع أنماط وأنواع، وتتمثل معضلة البناء الديمقراطي في تطوير المؤسسات المدنية، بدل محاربتها وإلغاء أدوارها، وذلك لمحاصرة التجاوزات السياسية والتدبيرية، وكشف بؤر الفساد، التي لا يمكن الاستهانة بخطورة ما تقوم به من تشويه، وتحريف للحقائق، لأنها تمتلك طرائق تعرف كيف تستثمرها وتوظفها لتوسيع دوائر الغش والفساد والإفساد».

وإلى جانب الأسماء المذكورة سابقا، فقد شارك في هذا الكتاب، الذي تتوخى من ورائه «الهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها» إشراك الكتاب والمفكرين المغاربة في النقاش العمومي حول ظاهرة الفساد، وتعزيز الوعي المجتمعي بخطورة الفساد وآثاره الممتدة، وتنويع زوايا النظر إلى الفساد.

وعلى الرغم من ظهور بعض المؤشرات الإيجابية التي تعود إلى الجهود المؤسساتية المبذولة في مجال تعزيز النزاهة والوقاية من الفساد بالمغرب، والتي كشفت عنها نتائج مؤشر مدركات الفساد لعام 2025 لمنظمة الشفافية الدولية، وأظهرت حصول المغرب على 39 نقطة من أصل 100، واحتلاله الرتبة 91 من بين 182 دولة، مسجلا بذلك تحسنا بنقطتين مقارنة مع عام 2024، وتقدما بثماني مراتب في الترتيب الدولي، فإن «الهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها»، تعتبر أن هذه المؤشرات تظل أقل من مستوى تطلعات المواطنين، ولم تعكس بعد حجم الانتظارات المرتبطة بإرساء حكامة عمومية قائمة على الشفافية والمساءلة وربط المسؤولية بالمحاسبة، ولهذا فهي تسعى إلى تسريع وتيرة العمل المؤسساتي المنسق، وتعزيز الانخراط الجماعي لمختلف الفاعلين العموميين والخواص والمجتمع المدني، من أجل بناء منظومة وطنية قوية للنزاهة، تواكب طموح مغرب أكثر شفافية وعدالة وثقة في مؤسساته.

أجيال النزاهة

ولهذه الغاية، ولأن التربية هي اللبنة الأساسية التي يمكن عبرها ترسيخ ثقافة النزاهة ومحاربة الفساد وتعزيز المواطنة التشاركية والانفتاح المنظم على الشباب والمجتمع المدني والإعلام، فقد أطلقت حديثا «الهيئة الوطنية للنزاهة والوقاية من الرشوة ومحاربتها»، المؤسسة الدستورية المستقلة التي أُحدثت عام 2012 لتنزيل مقتضيات الدستور وتنسيق وتنفيذ السياسات الوطنية للوقاية من الفساد وترسيخ ثقافة النزاهة، بشراكة مع وزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة، المرحلة الأولى من برنامج «أجيال النزاهة» على مستوى الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة فاس ـ مكناس، وهو البرنامج الذي يدخل في إطار استراتيجيتها الخماسية 2025 ـ 2030.

ويركز هذا البرنامج على المدرسة العمومية في معركة بناء القيم، وعلى ضرورة توحيد الجهود المؤسساتية لضمان أثر مستدام لسياسات الوقاية من الفساد، ولهذا الغرض خصصت ورشة تكوينية لفائدة عدد من الأطر التربوية بتلك الجهة، قدمت خلالها مستجدات الآليات الوطنية لمكافحة الفساد، كما تم عرض منهجية تنزيل برنامج «أجيال النزاهة» بالمؤسسات التعليمية، بما يعزز دور المدرس كفاعل أساسي ومحوري في ترسيخ ثقافة النزاهة داخل الوسط المدرسي. ■

*إعلامية وكاتبة من المغرب

القيامة في تشكيل الصورة الكونية في الشعر العربي

لندن: د. حسين رشيد الطائي*

تتميّز مشاهد القيامة في القرآن ببنية تصويرية تقوم على الانقلاب الكوني الشامل مثل الجبال المسيّرة والسماء المنفطرة والنجوم المنكدرة والبحار المسجرة والأرض المزلزَلة. هذه الصور لا تُقدِّم حدثًا غيبيًا فحسب، بل تبني نموذجًا تخييليًا يرى الكون كيانًا قابلًا للتفكك وإعادة التشكيل.

وقد انتقلت هذه البنية الكونية إلى الشعر العربي عبر العصور، لكنها لم تنتقل بوصفها اقتباسًا مباشرًا دائمًا، بل تحوّلت إلى رمز لانهيار القيم وسقوط الحضارات وتمزّق الذات وانتظار البعث.

والصورة الكونية هي في الواقع تمثيل للكون من حولنا عبر اللغة الشعرية، سواء كان ذلك في وصف الطبيعة أو الظواهر السماوية أو الأرضية، لكنها غالبًا لا تقتصر على المشاهد الطبيعية، بل تشمل الرمزية الدينية والفلسفية.

ففي الشعر العربي تتحول الطبيعة أحيانًا إلى مرآة لأحداث أخروية أو تحولات روحية. أما الآيات التي تتعرض لمشاهد القيامة فتمثل مصدرا شعوريا وفكرياً يتجلى في صور مرعبة كوصف النفخ في الصور وانشقاق السماء وتصادم الجبال وغير ذلك؛ ولها بعدان مهمان الأول؛ وجداني يشمل إثارة الخوف والرهبة والخشوع أمام عظمة الله وحتمية الحساب. والثاني تصوري رمزي يشمل تحويل الظواهر الكونية اليومية مثل السماء والنجوم والريح والبحر الى رموز لأحداث كونية عظيمة.

ويمكن تحديد آليات تأثير آيات القيامة على الشعر العربي من خلال اللغة الرمزية: فالشعراء العرب استخدموا الصور القرآنية لتكثيف المعنى، كتشبيه انهيار الجبال بالقيامة أو تصوير الليل والنهار كأدوات لإظهار القوة الإلهية. كما عمدوا أيضا لتضخيم الأحداث الكونية؛ إذ ان بعض الظواهر الطبيعية تصبح أدوات لتصوير الرهبة والدمار الكوني مثل البراكين أو الأعاصير أو النجوم المتساقطة. ثم يتم توظيف ذلك كله في مشهد يمزج بين الطبيعة والخيال الأخروي لإيجاد صورة كونية قابلة للإنعكاس في النفس.

ومن خلال تطبيق هذه المفاهيم على الواقع الشعري مثلاً نجد المتنبّي وأبا تمام يستخدمان الصور الكونية (مثل الشمس والقمر والرياح) لتقوية معاني الحساب والقدر. كما نجد الشعراء الصوفيين مثل ابن الفارض وابن الفقيه يستخدمون الرمزية الكونية لتصوير انفصال الروح عن الجسد وانبثاقها نحو الحق، مستندين لمشاهد آيات يوم القيامة.

ولذا نجد أن الآيات الكونية والقيامة تعمل كمحفز شعوري وفكري، يجعل الشعر أكثر ثراء ورمزيةً وديناميكية.

ويمكن القول أن الصور الكونية في الشعر العربي لم تعد مجرد وصف للطبيعة، بل أصبحت وسيطًا لنقل الرهبة ومفهوم الحساب والخلاص.

وهذا يعكس من الناحية المنهجية تأثير النص الديني على تشكيل الإبداع الأدبي، حيث تتحول النصوص القرآنية إلى مورد شعوري وجمالي.

وإذا أردنا تطبيق هذه المفاهيم على الواقع الشعري نستعين بنماذج عدة توضح أثر البنية القيَامية في تشكيل الصورة الكونية.

فقد نقل ابن رجب الحنبلي في كتاب (المحجة في سير الدلجة) عن أحد الشعراء يوظف القيامة في شعره حيث قال:

أمَا والله لو علم الأنام
لما خُلقوا لما غفلوا وناموا

لقد خُلقوا لما لو أبْصَرَتْهُ
عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
مماتٌ ثم قبرٌ ثم حشرٌ
وتوبيخ وأهوال عظامُ
ليوم الحشر قد عملت رجالٌ
فصلّوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أُمرنا أو نُهينا
كأهل الكهف أيقاظٌ نيامُ

فقد استخدم الشاعر القيامة رمزًا مركزيًا لتصوير الحقيقة المطلقة التي تواجه كل إنسان (الموت والحساب والجزاء)؛ وهذا يُعد رمزًا إنشائيًا يربط بين فكرة الزهد والغفلة، ويحوّل الموضوع من مجرد ذكر للآخرة إلى أداة بلاغية لتقوية الموقف الأخلاقي؛ أي أن القيامة في النص ليست مجرد وصف، بل هي محرك للخطاب الأخلاقي والشعوري.

وقال شاعر آخر هو الحارث بن ظالم؛ وهو من شعراء ما قبل الإسلام:

تَكَادُ الجِبالُ الصُمُّ مِن صَوتِ حَربِهِم
تُزَلزَلُ حتّى لا يُمَسَ قَرارُها

فالبيت يصوّر الحرب كحدث قيّامي يزلزل حتى الثوابت الطبيعية، فالجبال تهتز من صوت القتال. كما ان استخدام الشاعر التشخيص والمبالغة يعظّم فظاعة الحدث ويضفي على المعركة صبغة مصيرية وأسطورية؛ حيث يصبح الصوت البشري والمأساة الإنسانية محورًا للصراع مع الكون، ما يعكس الهيبة والرعب الكوني في الشعر.

أما المتنبي في قوله:

تمرُّ بك الأبطالُ كُلمى هزيمةً
ووجهُكَ وضّاحٌ وثغرك باسمُ

فيستثمر الطاقة الكونية ليجعل المعركة حدثًا بحجم القيامة. فما أجمله وأجلّه من أسلوب.

وكان لشعراء الأندلس نصيب كبير من هذا الأسلوب فاستخدموا القيامة بوصفها سقوط حضارة. كما نجد ذلك جليا في شعر أبي البقاء الرندي في مرثيته الشهيرة للأندلس التي يقول يها:

لِكُلِّ شَيْءٍ إذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ
فَلَا يَغُرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إنْسَانُ
هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وهذه الدارُ لا تُبْقِي على أحدٍ
ولا يَدومُ على حالٍ لها شانُ
ثم يبلغ ذروة الصورة الكونية في قوله:
تبكي الحنيفيةُ البيضاءُ مِن أسفٍ
كمًا بكى لفراقِ الإلفِ هَيمانُ

فالخراب هنا ليس مجرد خراب مدن، بل انهيار عالم بأسره. فمنطق «لكل شيء إذا ما تم نقصان» يوازي منطق التحول الكوني في مشاهد القيامة؛ فهو اكتمال يعقبه انهدام. والأندلس في القصيدة تبدو كأنها عالم دخل قيامته الخاصة والعمران يضحي خرابًا ولا شيء يبقى ثابتاً.

وهذا الإمام الشافعي الذي عرف بزهده واستعماله الكثير لصور وآيات القيامة في شعره يقول:

يا واعظَ الناسِ عمّا أنتَ فاعلُهُ
يا مَن يُعَدُّ عَلَيهِ العُمرُ بِالنَفَسِ
احفظ لشيبك مِن عيبٍ يُدَنِّسُهُ
إنّ البَياضَ قليلُ الحَمْلِ للدَنَسِ
كَحامِلٍ لِثيابِ النّاسِ يَغسِلُها
وَثَوبُهُ غَارِقٌ فِي الرِجسِ وَالنَجَسِ
تَبغي النَجاةَ وَلَم تَسلُك طَريقَتَها
إنَ السَفينَةَ لا تَجري عَلى اليَبَسِ
رَكوبُكَ النَعشُ يُنسيكَ الرُكوبَ على
ما كُنتَ تَركَبُ مِن بَغلٍ وَمِن فَرَسِ
يومَ القيامَةِ لا مالٌ وَلا وَلَدٌ
وَضَمَّةُ القَبرِ تُنسي لَيلَةَ العُرُسِ

فـي هذه الأبيات، يصوّر الشافعي القيامة كحقيقة حتمية تفضح زيف الحياة الدنيا، حيث لا ينفع الإنسان ماله أو ولده، ولا تُقاس مظاهر القوة والجاه بالآخرة. والشاعر يعكس وعيًا نقديًا بالغرور البشري وانشغاله بالملذات الزائلة، فيربط بين الموت والفناء لنقد التعلق بالدنيا بأسلوب

أدبي يجمع بين الوعظ الرمزي والمجاز التصويري؛ فالنعش والبغل والفرس والعرس أدوات تجسد هشاشة الإنسان أمام الحقيقة المطلقة للآخرة.

ولم يغب تصوير القيامة وآياتها الكبرى عن الشعر العربي المعاصر؛ فقد استعملها وبكثرة بوصفها خرابًا وبعثًا كما فعل بدر شاكر السياب في (أنشودة المطر) حيث يقول:

عيناك غابتا نخيلٍ ساعةَ السحر
أو شرفتانِ راحٍ ينأى عنهما القمر
مطر... مطر... مطر...

فالمطر عند السياب ليس ظاهرة طبيعية فحسب، بل رمز للخصب بعد الجفاف، وللبعث بعد الموت. وفي موضع آخر يقول:

كأن طفلاً بات يهذي قبل أن ينام
بأن أمّه التي أفاق منذ عام
فلم يجدها ثم حين لجّ في السؤال
قالوا له: (بعد غدٍ تعود)
لابد أن تعود...

وهذا المشهد يقترب من انتظار يوم آخر؛ يوم وعد وعودة. فالخراب الذي يسبق المطر يذكّر بمرحلة الانهدام قبل البعث.

ونجد أدونيس وهو يحاول تفكيك الصورة الكونية حينما يقول في إحدى قصائده:

هذا هو اسمي
وهذه الأرض لي
وهذه السماء لي

لكنه في مواضع أخرى يفكك هذا الامتلاك، ويجعل العالم متشظيًا. فيكرر مفردات الانفجار والسقوط والرماد والاحتراق؛ فالسماء لم تعد ثابتة، بل قابلة للتمزق. والأرض ليست مستقرة، بل تتحرك. والصورة القيَامية هنا تتحول إلى أداة تفكيك حضاري.

أما محمود درويش فتتحول القيامة عنده الى قيامة وطنية إذ يقول:

على هذه الأرض ما يستحق الحياة.

لكنه في نصوص أخرى يرسم صورة الأرض الجريحة:

الأرض تضيق بنا
كأن القيامة قامت علينا هنا

فالقيامة عنده ليست أخروية، بل آنية، تاريخية؛ فالأرض تضيق والعالم يختنق والانهيار كوني لكنه يحدث في وطن محدد. يقول:

سنصير يوماً ما نريد

وهو وعد بالبعث، أشبه بوعد النشور. فالقيامة عنده مزدوجة (خرابٌ وولادة).

إلا ان بعض الشعراء المحدثين الذين واكبوا عصرنا الحالي وويلاته وحروبه ومذلاته وانكساراته وهزائمه التي ألمّت بالعرب صوروا القيامة تصويرا مريعا كما فعل أمل دنقل في قصيدته (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)؛ حيث يقول:

كأن القيامةَ قامت
فلا صوتَ إلا صهيلُ الهزيمة.

فهو يشبّه لحظة الهزيمة العربية بحدث كوني كالقيامة؛ حيث تختلط الفوضى والدهشة والخراب.

اما عبد الوهاب البياتي في ديوانه (الموت في الحياة) فيجعل القيامة حدثا يوميا متكررا مع مشاهد الحرب والدمار؛ فيقول:

في مدينتنا
القيامةُ تبدأُ كلَّ صباح
حين يخرجُ الأطفالُ من تحتِ الأنقاض.

بينما نجد سعدي يوسف في ديوانه (الأخضر بن يوسف ومشاغله) يشبّه حالة القلق السياسي والانتظار الثقيل بمشهد الوقوف قبل النداء للحشر؛ فيقول.

كأنَّ البلادَ على حافة الحشر
والناسُ ينتظرون النداء الأخير.

وهذا تميم البرغوثي في بعض قصائده التي تتناول الواقع الفلسطيني يصوّر المدن وكأنها في مشهد الحشر فيقول:

كأنَّ البلادَ إذا أقبلَ الليلُ
قامتْ قيامتُها
والناسُ يمشون في الطرقاتِ
كأنهم خارجون إلى الحشرِ.

فهو يصور المدينة المحتلة بمسرح لقيامة يومية، حيث الخوف والانتظار يشبهان وقوف الناس للحساب.

في المحصلة نجد أن استعمالات القيامة ومشاهدها القرآنية جاءت وفق ثلاث مراحل: مرحلة وعظية ومرحلة بلاغية تاريخية حيث تتحول الصورة الكونية إلى تضخيم أو إلى استعارة لانهيار حضاري. ومرحلة رمزية حديثة كما نرى في الشعر الحديث؛ فأمست القيامة استعارة مفتوحة للخراب السياسي، أو الأزمة الوجودية، أو انتظار البعث الوطني.

وفي النهاية تكشف قراءة هذه الشواهد الشعرية أن مشاهد القيامة في القرآن أسست لبنية تخييلية كبرى أثّرت في تشكيل الصورة الكونية في الشعر العربي عبر العصور. فالجبال التي تُزلزَل، والأرض التي تتصدع، والسماء التي تنفطر، تحوّلت من رموز أخروية إلى أدوات فنية تعبّر عن انهيار القيم وسقوط الحضارات وتمزّق الذات وانتظار البعث. إلّا أنَّ المخيال العربي يستعير من القيامة طاقتها الدرامية الهائلة؛ غير أن الفرق الجوهري يكمن في التحول من الحدث الغيبي إلى الرمز المفتوح.

وهكذا لم تعد القيامة نهاية الزمن في الشعر، بل أصبحت لحظة انهيار ضرورية تمهّد لولادة جديدة؛ كأن الشعر العربي، في كل أزمة يستدعي صور القيامة، يقول إن الخراب ليس نهاية، بل بداية أخرى ممكنة. ■

*أستاذ جامعي، باحث وأديب

أخصائية علم النفس ميرا العرّ
حول إنعكاسات الحروب السلبية
على الأطفال

التعافي النفسي بعد الأزمات يبدأ بالحوار

الرياض: رنا خير الدين*

في زمنٍ تتسارع فيه أصوات الأخبار وصور الدمار، يبقى الأطفال أكثر الفئات هشاشة أمام آثار الحروب والكوارث والأزمات. فبينما تنشغل الأنظار بالخسائر المادية وإعادة بناء ما تهدّم، غالباً ما تبقى الجروح غير المرئية في عقول الصغار وقلوبهم بعيدة عن الاهتمام. الخوف، والقلق، وفقدان الشعور بالأمان قد تترك آثاراً عميقة في نفسية الطفل، تمتد أحياناً لسنوات طويلة وتشكّل طريقة نظرته إلى العالم من حوله.

إن الاعتناء بالصحة النفسية والعقلية للأطفال في مثل هذه الظروف لم يعد رفاهية أو مسألة ثانوية، بل ضرورة إنسانية ملحّة لحماية جيل كامل من آثار الصدمات والضغوط. فالدعم النفسي المبكر، وتوفير بيئة آمنة للتعبير عن المشاعر، يمكن أن يكونا الفارق بين طفل يثقل كاهله الخوف، وآخر قادر على استعادة الأمل والنمو رغم قسوة الظروف.

في هذا التقرير، نسلّط الضوء على أهمية حماية الصحة النفسية للأطفال خلال الحروب الأزمات، ونستعرض كيف يمكن للأسرة والمجتمع والمؤسسات الإنسانية أن تلعب دوراً حاسماً في مساعدة الصغار على تجاوز المحن وبناء مستقبل أكثر توازناً وأماناً مع الأخصائية في علم النفس العيادي ميرا العرّ التي وجّهتنا نحو أفضل السبل للتعامل مع الأطفال والمراهقين خلال الظروف الصعبة من خلال وضع خطّة طويلة الأمد لما بعد الأزمة لتخطّي الصدمات والتعافي النفسي ودور الأهل في تشكيل بؤرة أمان ثابتة.

أسباب التأثير النفسي للحروب على الأطفال

في أزمنة الحروب والكوارث والأزمات، لا يكون الدمار مقتصراً على المباني والطرق والبنية التحتية فحسب كما ذكرنا، بل يمتد بصمت إلى أكثر المناطق حساسية في المجتمع: عقول الأطفال وقلوبهم. ففي الوقت الذي يحاول فيه الكبار فهم ما يحدث والتكيّف معه، يعيش الأطفال التجربة بطريقة مختلفة؛ فهم يرون ويسمعون ويشعرون بأشياء قد تفوق قدرتهم على الاستيعاب أو التفسير، مما يجعلهم أكثر عرضة للتأثر النفسي.

وتشير دراسات في علم النفس إلى أن الأطفال يتأثرون بعدة عوامل خلال الحروب والكوارث. كالأصوات العنيفة والمفاجئة مثل أصوات الانفجارات أو إطلاق النار تُعد من أكثر العوامل التي تثير الخوف والقلق لديهم، لأنها ترتبط لديهم بإحساس مباشر بالخطر. وغالباً ما تبقى هذه الأصوات عالقة في الذاكرة، وقد تؤدي لاحقاً إلى اضطرابات في النوم أو شعور دائم بالتوتر والخوف.

كما تلعب مشاهد الدمار والخراب دوراً مهماً في تشكيل التجربة النفسية للطفل. فمشاهدة المنازل المهدمة أو الحرائق أو آثار الدمار في الشوارع قد تخلق لدى الطفل صورة قاسية عن العالم من حوله، وتُضعف شعوره بالأمان والاستقرار. ومع تكرار هذه المشاهد، سواء في الواقع أو عبر وسائل الإعلام، قد يزداد شعور الطفل بالقلق والحزن.

ولا تقل مشاعر الكبار المحيطين بالطفل تأثيراً عن تلك المشاهد والأصوات. فالطفل يستمد إحساسه بالأمان غالباً من والديه أو من البالغين المحيطين به. وعندما يرى الخوف أو التوتر أو الحزن على وجوههم، قد يشعر بأن الخطر أكبر مما يستطيع فهمه، مما يعزّز لديه الشعور بعدم الطمأنينة.

ومن بين العوامل المؤثرة أيضاً فقدان الروتين اليومي والاستقرار. فالحروب والكوارث كثيراً ما تؤدي إلى النزوح أو الانتقال من مكان إلى آخر، أو إلى توقف المدارس والأنشطة المعتادة. هذا التغيير المفاجئ في نمط الحياة قد يربك الأطفال ويجعلهم يشعرون بالضياع أو عدم السيطرة على حياتهم.

إضافة إلى ذلك، قد يواجه بعض الأطفال تجارب مؤلمة مثل فقدان أحد أفراد الأسرة أو الانفصال عنهم، وهو ما يترك أثراً عاطفياً عميقاً قد يستمر لفترة طويلة إذا لم يحظ الطفل بالدعم النفسي والاجتماعي المناسب.

انعكاسات تمتد على المدى الطويل

على المدى البعيد، بحسب المعالجة النفسية ميرا العرّ، قد تظهر مشكلات عاطفية وسلوكية مثل القلق المستمر، الاكتئاب، أو نوبات الغضب المفاجئة. بعض الأطفال يصبحون أكثر خجلًا وانطوائية، بينما قد يعاني آخرون من صعوبة في تكوين علاقات اجتماعية مستقرة بسبب فقدان الثقة بالآخرين أو الخوف من فقدانهم.

كما تؤثر هذه التجارب على الأداء الدراسي والتركيز، فالأطفال الذين عايشوا الصدمات قد يجدون صعوبة في الانتباه أو تذكر المعلومات، وهو ما يضعف تقدّمهم التعليمي. وفي الحالات الأشد، قد تظهر لديهم اضطرابات ما بعد الصدمة (PTSD)، حيث تعود الذكريات المؤلمة فجأة عبر الكوابيس أو الفلاش باك، مما يعيد الطفل إلى لحظة الخطر وكأنها تحدث الآن.

وتتابع قائلة: الأثر النفسي لا يقتصر على الجانب الفردي فقط، بل يمتد ليؤثر على الشخصية المستقبلية، حيث يصبح الطفل أكثر حذراً أو متشائماً، أو يعاني صعوبة في التعامل مع الضغوط والمواقف الصعبة في الحياة لاحقاً. لذلك، نؤكد كخبراء أن التدخل المبكر والدعم النفسي والاجتماعي للأطفال المتأثرين بالحروب والكوارث ضروري، لأنه يقلّل من آثار الصدمات ويساعدهم على تطوير مهارات التكيف والصمود، ليصبحوا قادرين على مواجهة المستقبل بثقة.

تؤكد الأخصائية ميرا أن الطريقة التي يتحدث بها الأهل مع أطفالهم هي مفتاح حماية نفسيتهم وبناء قدرتهم على التكيف مع الواقع الصعب.

وتقول: «تختلف حاجة الطفل للمحادثة والدعم بحسب عمره، فالأطفال الصغار (من 3 إلى 6 سنوات) قد لا يفهمون التفاصيل المعقدة، ويستجيبون للمعلومات بطريقة حسيّة وعاطفية، فالأصوات المفاجئة أو رؤية الحزن على وجوه الكبار قد تصيبهم بالقلق والخوف بسهولة. هنا، يجب على الأهل استخدام لغة بسيطة جدًا، مع التركيز على الطمأنة والأمان، مع توفير الروتين اليومي واللعب والأنشطة الإبداعية للتعبير عن مشاعرهم.

الاخصائيّة النفسية ميرا العرّ

أما الأطفال في سنّ المدرسة (7 إلى 12 سنة)، فيبدأون بفهم الأحداث بشكل أفضل، ويطرحون أسئلة مباشرة عن سبب ما يحدث ولماذا. من المهم الإجابة بصراحة مناسبة لعمرهم، مع التأكيد على أن مشاعرهم طبيعية، وتشجيعهم على التعبير عن القلق بالحوار أو الرسم أو الكتابة.

بالنسبة للمراهقين (13 إلى 17 سنة) قد يكون لديهم وعي أكبر بما يحدث، لكنهم أيضاً أكثر عرضة للشعور بالضغط النفسي أو العزلة. معهم، يصبح الحوار المفتوح والمشاركة في اتخاذ بعض القرارات المتعلقة بالروتين اليومي أو النشاطات اليومية وسيلة فعّالة لبناء شعور بالتحكّم والأمان».

الأطفال غالباً ما يعبرون عن مشاعر القلق أو الحزن بطريقة غير لفظية، من خلال الانطواء، فقدان الشهية، أو مقاومة القيام بالأنشطة اليومية. هنا يأتي دور الأهل في تقديم بيئة مستقرة وآمنة قدر الإمكان، وتشجيع الطفل على المشاركة في اتخاذ قرارات بسيطة تتعلق بروتينه اليومي، مثل ترتيب غرفته أو اختيار نشاط مسلي، لأن ذلك يمنحه شعوراً بالتحكم وسط فوضى الأحداث. كما يمكن إدخال عادات يومية صغيرة مليئة بالاهتمام والدفء، مثل قراءة قصة مسلية قبل النوم أو ممارسة نشاط بدني خفيف معًا، مما يعزّز التوازن العاطفي ويقلّل من آثار التوتر المزمن. بهذه الطريقة، لا يقتصر دور الأهل على الكلام فقط، بل يشمل خلق بيئة عملية وآمنة تدعم النمو النفسي السليم للأطفال خلال الأزمات.

وعن سؤالها عن بعض الجمل التي يمكن للأهل استخدامها لزجّ الطمأنينة في قلوب أطفالهم، تقول: يمكن استخدام العبارات التالية، والحرص على تكرارها، مثل «أنت بأمان معنا، وسنحرص دائماً على حمايتك»، «يمكنك التحدث عما يقلقك، ونحن هنا للاستماع ودعمك»، «الأشياء صعبة حولنا، لكن معاً سنتجاوزها خطوة بخطوة»، «أنت قوي بما يكفي لمواجهة هذه الظروف».

التخطّي وما بعد الصدمات

تشير الأخصائية ميرا أن الأهل قد يروا الأمر معقّداً أو مستحيلاً لكنه في الواقع قابل للمعالجة حيث أن تحقيق التعافي النفسي للأطفال بعد الحروب والكوارث ممكنٌ من خلال مزيج من الدعم العاطفي، التوجيه السلوكي، والبيئة المستقرة والاكتشاف المبكر. يبدأ الأمر بالحوار المفتوح والصادق مع الطفل، والاستماع لمخاوفه ومشاعره دون التقليل منها، مع استخدام كلمات مطمئنة تناسب عمره. كما يلعب الروتين اليومي المنتظم دوراً مهماً في منح الطفل شعوراً بالاستقرار وسط الفوضى، فيما تساعد الأنشطة الإبداعية مثل اللعب، الرسم، والكتابة على تفريغ التوتر وتنظيم العواطف. إضافة إلى ذلك، تعتبر مشاركة الطفل في اتخاذ قرارات بسيطة تخصّ يومه وروتينه وسيلة لتعزيز شعوره بالتحكّم والقدرة على التكيّف.

وعندما تظهر علامات قلق شديد أو تغير سلوكي ملحوظ، يصبح التدخل المبكر لأخصائي خطوة ضرورية لتقديم الدعم المتخصص وضمان بناء مرونة نفسية مستدامة. بهذه الاستراتيجيات، يمكن للأطفال ليس فقط التغلب على الصدمات، بل تحويلها إلى فرصة لتنمية القوة الداخلية والقدرة على مواجهة المستقبل بثقة وأمل. ■

* كاتبة وصحافية

الأطفال أكثر عرضة للتعرض لصدمات نفسية بسبب الحروب والأزمات.

المشاهد القاسية والأصوات المخيفة لها عواقب جسيمة على حالتهم النفسية

تكاثرت مهرجانات الفن العربية وغدت اليوم أشبه بمنصّات استعراض

لست ثقباً أسود.. أنا المجرَّة بكلِّ ما فيها من جمال

سوريا ـ فاطما خضر*

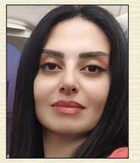

في زمن باتت فيه خوارزميات التواصل الاجتماعي أكثر تدخُّلًا في تشكيل الوعي البشري، وفي خضم ثقافة يومية استهلاكيَّة موجَّهة تختزل الأنثى في قالب جسدي، نجد أنفسنا أمام ظاهرة سلبية متصاعدة: تحوُّل هوس الجمال إلى ثقب أسود، يبتلع روح المرأة وعقلها وهويتها، قبل أن يبتلع نقودها ووقتها.

«برمجيات» تقود إلى الانهيار النفسي

فرضت ثقافة الصورة الاستهلاكيَّة المروَّج لها في الدراما والسوشال ميديا والمهرجانات الفنيَّة بسجاداتها الحمراء، جمالَ المرأة كهوية شبه وحيدة لتحظى بالقبول الاجتماعي، مدعومة بإعلانات شركات تجارية هدفها الوحيد الربح المادي، وبصور وريلزات نجمات وبلوغرات يبعنَ الوهم من خلال ترينداتٍ أشبه بفقاعات، يُمحى أثرها خلال وقت قصير. تندرج هذه الثقافة تحت مسمَّى «الجمال الاستهلاكي».

وهي ثقافة تكاثرت وانتشرت وطغت على أحاديث النساء في: الجامعة، والمدرسة، والنادي الرياضي، وصبحيَّات النساء، وأماكن العمل، والمقاهي، والشارع.

لكن لم يتوقَّف حدُّ تأثير برمجيات ثقافة «الجمال الاستهلاكي» هذه، اللاواعية والمكتسبة، عند الأحاديث، بل تحوَّل إلى سلوك متجذِّر في المجتمع عمومًا، يدفع بالكثير من النساء إلى الدخول في منافسات لا نهاية لها إلَّا داخل العيادات النفسيَّة. طبعًا إن امتلكت المرأةُ جرأة زيارة الطبيب النفسي، أمَّا في حال كانت تخشى ذلك (وهو الغالب والسَّائد في مجتمعنا) تحسُّبًا إلى نظرة المجتمع السلبية، التي ما زالت إلى حدٍّ كبير تربط ارتياد العيادات النفسيَّة بالعار والجنون؛ فسينتهي بها الحال إلى الانزواء والاكتئاب، وفي حالات قد تكون قليلة، لكنَّها موجودة وشائعة تحديدًا بين المراهقات، إلى محاولة الانتحار.

عندما يتحولَ الفن إلى كرنفال بلاستيكي

باتت الدراما اليوم مدرسة تكرِّس ثقافة «الجمال الاستهلاكي». أبطال ونجوم يطلُّون على المُشاهدين بوجوه بلاستيكيَّة: عضلات وجه تعجز عن إعطاء ردِّ الفعل الملائم للشعور المراد إيصاله إلى الجمهور من خلال مشهد تمثيلي معيَّن. وجوه فيها من الإشراقة والامتلاء ما لا يعكس الوضع الاجتماعي للشخصية التي قد تكون فقيرة أو مشرَّدة أو مريضة أو حتَّى شحَّادة... وغيرها من الأدوار، التي لا تمتلك على أرض الواقع ترف زيارة عيادات التجميل، أو حتَّى تأمين الغذاء الصحي الملائم، الأمر الذي يؤدي بطبيعة الحال إلى وجه نحيل وشاحب ويفتقر إلى الامتلاء.

الفقير والغني، الشاب والعجوز، رجل الأعمال والفلاح والعامل، طالبة الجامعة العشرينية وسيِّدة الأعمال الخمسينية، الزوجة «المعنَّرة» والمرأة «السترونغ ـ اندبنت»، وغيرهم من الثنائيات، التي لا تتشابه ملامحها على أرض الواقع. أصبحت تظهر جميعها في كرنفال الدراما البلاستكي: ببشرة صافية تعجُّ بالكولاجين؛ وشفتين مكتنزتين بالفيلر؛ وخدَّين متوردَين، تكادان عند البعض أن تنفجرا من الفيلر؛ وفكٍّ سفليٍّ وذقن محدَّدة على شكل حرف V بعد اتباع إجراء تجميلي غير جراحي يُعرف بالتكساس، وأسنان ناصعة البياض مستقيمة، تكلفتها فقط بضع آلاف الدولارات، تبدو عند الجميع شبه متطابقة، وكأنَّها خرجت من قالب واحد في المعمل نفسه؛ وجبهة متماثلة عند الجميع، خالية من التجاعيد، ومشلولة تمامًا بتأثير البوتوكس المبالغ فيه؛ وعيون مسحوبة، ورموش مقلوبة، وما إلى ذلك.

وجوه بلاستيكية، وأجساد نُحتت بين عيادات التجميل والنوادي الرياضية والالتزام بتناول المكمِّلات الغذائية التي ينتج عنها الامتلاء العضلي (المؤخرة بالدرجة الأولى عند النساء، وعضلات الصدر والذراعين بالدرجة الأولى عند الرجال)؛ تؤدي أدوارًا لا تمت بصلة إلى هيئة الممثِّل، أو الممثِّلة، التي جسدها!

يخلق هذا التناقض واقعًا مشوَّهًا في عقول المشاهدين، خصوصًا من فئة المراهقين (سواء فتيات أم صبيان)، فتزداد الفجوة بين واقعهم وما يشاهدونه على الشاشة. وتغلب مشاعر الحسرة والغيرة والنقص على الاستيعاب العقلي، فيعجزوا عن الإدراك أو حتَّى التقبُّل بأنَّ ما يشاهدونه من خلف الشاشة لا يجسِّد الواقع المُعاش للطبقات الاجتماعية المتوسطة والفقيرة، التي تغلب نسبتها في غالبية المجتمعات، وأنَّ ما يشاهدونه مجرَّد هيئة بشرية بلاستيكية صُنِعَت في عيادات التجميل.

وهكذا تتحوَّل الدراما من فن يعكس الواقع ويناقش قضاياه، إلى كرنفال بلاستيكي، وأداة تكرِّس هوس الجمال، وتُعمِّق جراح النساء اللواتي يبحثن عن صورة يصعب بلوغها. ويغدو الفن، الذي من المفترض أن يعكس الواقع، تشويهًا للواقع، وأحيانًا سببًا في تدمير نفسية المشاهد، خصوصًا الفتيات اللواتي يرين شخصيات قريبة من واقعهن (طالبة جامعية مثلًا، أو خريجة جديدة... وغيرها) لكنَّها في الدراما مصنوعة بمعايير تجميلية تتطلَّب منهنَّ آلاف الدولارات، التي بطبيعة الحال لا تتوافر في جيوبهنَّ.

تكاثرت مهرجانات الفن العربية في السنوات العشرين الأخيرة. وغدت اليوم أشبه بمنصَّات استعراض: فساتين تكشف ولا تستر بتوقيع المصمِّم الفلاني. مجوهرات غالبًا تتزيَّن بها النجمات لليلة واحدة كإعلان للبراند الفلانية. أجساد ووجوه تحمل تقريبًا توقيع طبيب التجميل نفسه. تدريب مُسبق على خطاب يشدُّ الألباب (أو ربَّما شيئًا آخر!) من مدرِّب التنمية أو مدرِّب التحدث ذاته. لنغدو بذلك أمام أحدث صيحات تسليع المرأة للمجتمع الرأسمالي، وأمام نجمات يبعن الأحلام الوهميَّة للنساء عمومًا والمراهقات خصوصًا. أوهام تُعشعش في لاوعي النساء موسوسةً: «أنت الآن غير كافية. أنفقي أموالك على عيادات التجميل، وسترين كيف سيتغيَّر عالمك. واستديني إن لزم الأمر».

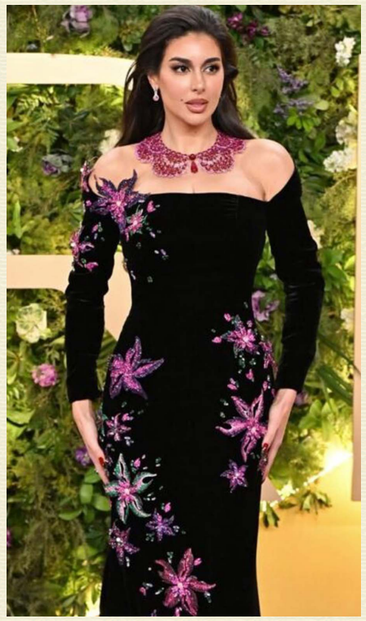

وبالطبع لا ينتهي تأثير المهرجانات على السجادة الحمراء، وإنَّما يستمر على وسائل التواصل الاجتماعي من خلال الصور المعدَّلة، والريلز الخاضع للمونتاج. ما يخلق مقارنة مستمرَّة ما بين النساء اللواتي لا ينتمين إلى عالم المشاهير وما بين سلع الجمال المصنَّع في عالم المشاهير البلاستكي: أمَّهات عاملات مكافحات (فلَّاحات، بائعات، مدرِّسات، طبيبات، مهندسات، ربَّات منزل، طاهيات....) لا يجدن الوقت الكافي ولا المال اللازم لمجاراة صيحات هذا السوق. مراهقات بأحلام سهلة التأثُّر والانقياد، يحلمن بالكمال والتخلُّص من حَبِّ الشباب ومختلف التغيرات الفيزيولوجية غير المثالية التي تطرأ على هيئة الأنثى عند سنِّ البلوغ. مُقابل نجمات أنفقن آلاف الدولارات، ما بين عيادات التجميل والنوادي الرياضية ومراكز العناية بالبشرة، يليها الخضوع لجلسة ماكياج بإشراف أمهر ماكيير وباستخدام أحدث براندات المكياج. من ثمَّ فريق مونتاج كامل لتنسيق الصور والفيديوهات مع إضافة فلاتر ذكية لإخفاء ما لم يُخفَ بعد.

صور وفيديوهات معدَّلة، لا تنحصر طبعًا على أيَّام المهرجانات، بل جاهزة لتُنشَر في أي مناسبة أو عيد أو تريند. وتبقى نقطة التشابه الوحيدة بينها، على اختلاف الأسماء والمناسبات والترندات: أجساد النساء الممشوقة، والمؤخرات المشدودة، والبشرة الحريرية، والعيون المسحوبة، والوجنتان المنتفختان، والأنف المُنمنم، والفم المكتنز، و...ببساطة: سلع جاهزة ومنتَجة في المصنع ذاته.

ماذا لو لم تكن المرأة جميلة في مجتمع مريض؟

تُعتبر الأنثى التي توصف بأنَّها «غير جميلة»، أو بمفردات أقسى مثل «قبيحة، بشعة، ناقصة أو عديمة الأنوثة»، مسكينةً ومنبوذةً. ينظر إليها المجتمع على أنَّها غير مهمَّة. وتُستخدم عند التعامل معها عبارات يبدو ظاهرها تعاطفًا، لكنَّها حقيقة تؤذي روحيًا وتُشوِّه نفسيًا. من أشهر هذه العبارات: «شو بدها تعمل، صحيح بشعة بس خلقة الله/ الله يستر عليها، حتَّى لو كانت بشعة/ لو كانت حلوة، ما كان تجوَّز عليها/ صحيح متعلمة بس بشعة ولو / لو كانت حلوة، كان إجا نصيبها/ حظها بيفلق الصخر، تزوجت واحد معو مصاري مع إنها بشعة/...». وغيرها من العبارات التي تقيِّم الأنثى، وتتعامل معها بناء على معيار شكلها الخارجي فقط، دون أي احترام لإنسانيتها أو لعقلها أو لكينونتها، وكأنَّ المعيار الوحيد لاحترامها هو مظهرها الخارجي.

نتائج مأساوية في دوامة لا تنتهي

إنَّ النتيجة الطبيعية لكل ما سبق: عدم الرضا، وإهدار المال (ولو اضطر الأمر إلى الاستدانة) والوقت (ولو على حساب البيت والعائلة، أو الدراسة، أو العمل) ضمن عيادات التجميل، بما تتضمَّنه من إجراءات تجميل جراحية وغير جراحية.

لكن الأسوأ لو استمرَّ عدم الرضا هذا، ثمَّ تحوَّل إلى هوس عدم ثقة، يطرح وباستمرار سيلًا من الأسئلة: «ماذا لو استمر شعوري بأنِّي غير جميلة بما يكفي؟ / ماذا لو رغبت بالمزيد من كل شيء: ثديين أكبر، عينين أوسع، شفتين مكتنزتين أكثر، وبشرة أكثر نقاوة ونعومة وبياض، و...؟ / ماذا لو لم أتلقَّ بعد هذا كلَّه ما يرضيني من إطراء عائلتي وجيراني وزملائي وأصدقائي وشريكي؟ / ماذا... وماذا...؟».

والنتيجة إحباط حلزوني، يستمرُّ دون أن يتوقَّف، إلى أن يحيل المرأة إلى ثقب أسود. ثقبٌ يبتلع عقلها وروحها وكيانها، جاعلًا منها كائنًا هشًّا يحتاج دائمًا أن يُثبت وجوده عن طريق الشكل الخارجي، الذي يغدو جوازها الوحيد لقبول واعتراف الآخرين بها. ثقبٌ يضعها في منافسة حمقاء ودائمة مع باقي النساء، ويفرض عليها عدم رضا يقودها إلى تشوُّه نفسي، وقلَّة ثقة، ما يؤثِّر فعليًا وبشكل سلبيٍّ على حياتها.

تحرَّري يا صديقتي... أنتِ مجرَّة لا ثقب أسود

امتنِّي يا صديقتي.

امتنِّي لما أنت عليه. وتحرَّري من كل هذا التسليع الذي يودي بك إلى الانفصام والهلاك. واستثمري جهدك وأموالك في جمالك العقلي كأولوية. ومن المؤكَّد أنَّه من الجيد الاعتناء بمظهرك الخارجي، وأناقتك وهندامك، لكن دون أن يتحوَّل الأمر إلى هوس وفوبيا من تقييم الآخر، الذي قد يكون إرضاءه غاية لا تُدرك.

امتنِّي يا صديقتي، وتحرَّري من هذا الوهم القاتل، واستبدلي علاقاتك التي تبدأ جلساتها بالحديث عن الثياب وتنتهي بالحديث عن المكياج، بكورسات تعلُّم لغة، أو بممارسة رياضة تحبينها، أو بالاعتناء بنبتة أو بحيوان أليف.

امتنِّي، واستبدلي الريلزات، ومتابعات السوشال ميديا تحديدًا غير المفيد منها، والدراما وملحقاتها من مهرجانات وبرامج وترينداتٍ؛ بأفعال تُغني عقلك، وتُجمِّل روحك، وتحميك من الهشاشة النفسية. الأمر الذي يجعلك تقفين بحب أمام مرآتك صباحًا، ثمَّ تلقين تحية الصباح على نفسك قائلة: «لستُ ثقبًا أسود، أنا المجرَّة بكلِّ ما فيها من جمال».

إنَّ سرَّ جمال الكون «يا صديقتي» يكمن في بساطته وتعدُّده واختلافه. والمرأة الجميلة، ليست تلك المُثقلة بإجراءات التجميل البلاستيكيَّة، وإنَّما تلك التي تجرؤ على أن تكون نفسها، في عالم يبذل قصارى جهده ليجعل منَّا نسخًا مكرَّرة ومزيفة. ■

*كاتبة ومترجمة

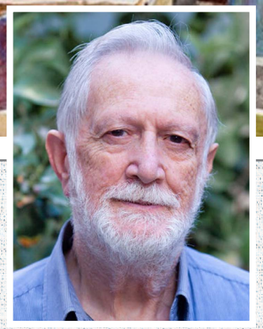

الفن هو الطريق الذي اختارني قبل أن أختاره

السعودية: لطيفة حسيب القاضي

يعدّ الفن التشكيلي واحدًا من أبرز وسائل التعبير الفني الذي ينقل رؤية الفنان، ويعكس إبداعه وتجربته الفريدة. ومن بين الفنانين المبدعين في هذا المجال الفنان التشكيلي الفلسطيني سليمان منصور مواليد عام 1947م، الذي يعدّ أحد الأعمدة التي أسهمت في إثراء المشهد الفني، علاوة على أنه يتمتع بموهبة فنية رائعة، وابداع يُعْيي على الحصر. الفنان الفلسطيني سليمان منصور توّجَ في العاصمة الروسية موسكو كأفضل فنان تشكيلي في ديسمبر 2025 تقديراً لمسيرته الفنية الإبداعية الطويلة وإسهاماته العميقة التي شكلت ركيزة أساسية في الفن التشكيلي الفلسطيني، وحملت الهوية الوطنية الفلسطينية إلى المحافل الإقليمية والدولية.

تتميز أعماله بالتنوع والغنى. فهو يتناول مواضيع مختلفة، يعبر عنها بأسلوب فني فريد، وتقنية متقنة. كما تتنوع أعماله بين: اللوحات الزيتية، والرسومات، والتصاميم الفنية؛ الأمر الذي يبرهن على مهارته وقدرته على التعبير من خلال مختلف وسائل التشكيل.

وكان للحصاد هذا الحوار معه.

● «الحصاد»: كيف استقبلت خبر تتويجك في موسكو كأفضل فنان تشكيلي لعامي *2024 - 2025* وما الذي يمثله لك هذا التكريم على المستوى الشخصي والفني؟

○ سليمان منصور: كان خبر تتويجي في موسكو لحظة مؤثرة وعميقة بالنسبة لي. لم أنظر إليه كتكريم شخصي بقدر ما رأيته اعترافا عالميا بالفن الفلسطيني وبقدرته على أن يكون حاضرا وفعالاً رغم كل الظروف. هذا الفوز هو تقدير لمسيرة طويلة حاولت فيها أن أعبر عن الإنسان الفلسطيني وعن ألمه وكرامته وحقه في الحياة. ما أسعدني حقا هو إن هذا التكريم جاء في عاصمة ثقافية كبرى مثل موسكو حيث للفن مكانة راسخة وتاريخ عريق. شعرت بأن رسالتنا البصرية وصلت إلى العالم. والرموز التي في لوحاتي استطاعت أن تتجاوز الحدود وتلامس وجدان الآخرين. بالنسبة لي هذا التتويج مسؤولية جديدة تدفعني للاستمرار في تقديم فن يعكس روح شعبي وقضيته.

● «الحصاد»: هل يمكن للموهبة أن تشق طريقها إلى الإبداع وحدها أم أن الموهبة لا تكتمل إلا حين تعانقها الدراسة وتمنحها افقا واسعة؟

○ سليمان منصور: الفنان الحقيقي ليس مجرد صاحب موهبة، بل هو ثمرة حالة إبداعية متفردة. فالدراسة لا تنبت إبداعا، ولكنها تهيئ له التربة الخصبة وتسرع لحظة تجليه. ففي كل عام تتخرج آلاف المواهب من كليات الفنون، ولكن القليل فقط هو الذي يترك بصمة مميزة ويكتب اسمه في ذاكرة الفن؛ هؤلاء هم أصحاب الشرارة الإبداعية الأصلية.

ومع ذلك، فالموهبة وحدها لا تكفي. فكل إنسان قادر على أن يصبح فنانا إذا درب عقله على التفكير الخلاق. فمهارة الرسم تكتسب بالممارسة، وتتقن بالتجريب، بينما يمنح التعليم الفنان اختصارا للطريق، ومعرفة بتاريخ الفن وفلسفاته ليصبح واعيا بما يفعل لا مجرد ممارس لمهارة. فالفن فكر قبل أن يكون تقنية، ورؤية قبل أن يكون يدا تمسك بالريشة.

● «الحصاد»: كيف تقيّم الحركة الفنية التشكيلية في فلسطين؟

○ سليمان منصور: الحركة الفنية في فلسطين جيدة، وتوجد مجموعة من الفنانين الشباب يبشّرون بالخير. لكن ينقصها سوق فني ثابت، ونقد فني لا يجامل. وتكمن قوة الحركة الفنية الفلسطينية في كونها لها شخصية مميزة؛ بسبب الوضع الذي نعيش فيه.

الحصاد: ما الذي يثير الفنان، ويحرّك مشاعره، ويدفعه لِقَوْلِ ما يريد؟

سليمان منصور: الذي يحرّك الفنان الحالة الإبداعية والبعيدة عن الواقع والمنطق. وإذا استطاع الفنان تطويع هذه الحالة إلى عمل يعكس فلسفته في الحياة، فسيكون بذلك قد صنع إنجازًا فنيًا مهمًا.

● «الحصاد»: برأيك أيّهما يعدّ الأهمّ: الفن الواقعي، أم الفن التجريدي، وهل صحيح أن على الفنان أن يبدأ بالمدرسة الواقعية؛ حتى تكون لديه مرجعية لتكوين لوحاته؟

○ سليمان منصور: لا يجب وضع المدرسة الفنية في أبواب التفضيل. فكل مدرسة لها جمالها ونكهتها. والمدرسة الواقعية أنا أميل لها؛ لأنها تستطيع التعبير عن حالات الفنان المختلفة بشكل أوضح.

● «الحصاد»: الفن التشكيلي مساحة يترجم فيها الفنان أفكاره ومشاعره إلى جمال المرئي ليصنع الدهشة. كيف تصف لنا بداياتك ورحلتك في هذا العالم؟

○ سليمان منصور: بعد عام 1967 خلت الأرض المحتلة تقريبا من النشاط الفني حتى عام 1971 حين أقام أحد طلاب الفن معرضا كشف عن وجود نحو 18 فنانا يعملون دون تعليم أكاديمي. عندها بادرنا إلى تأسيس رابطة الفن وتعليم أساسياته داخل المجتمع الفلسطيني.

رغم منع الاحتلال إنشاء كليات للفنون حتى اتفاقية أوسلو عام 1994 واصلنا تأسيس مراكز فنية ومعارض، والمساهمة في وضع مناهج لكليات الفنون في الجامعات المحلية. ومع الوقت تمكنا من إنشاء أكاديمية فنون مستقلة في رام الله استمرت 13 سنة.. وتخرج منها جيلٌ جديدٌ من الفنانين الذين يشكلون اليوم نواة الحركة الفنية الفلسطينية المعاصرة.

● «الحصاد»: هل اللوحة هي التي ترسم نفسها، أم الكامن في أعماق الفنان، أم موهبته وقدرته على الرسم البارع؟

○ سليمان منصور: الفنان وما بداخله وكوامنه هي التي ترسم اللوحة. المهارات تساعد؛ ولكنها تبقى مهارات ممكن لأي شخص أن يتعلمها. أما موهبة الفنان، فهي شيءٌ آخر كليًا.

● الحصاد: ما المدرسة الفنية التشكيلية الأبرز في المرحلة الراهنة على المستوى العربي والدولي والمحلي؟

○ سليمان منصور: يمتاز الفن في العالم بديمقراطية، وتوجد كل المدارس. والتوجّهات حاضرة، ولكلّ مدرسة مريدوها. الفن المعاصر، وهو الذي يعتمد على الفكرة، ويبتعد نوعًا ما عن الحرفية، وهذا الفن منتشر أكثر عند الشباب، وله أدواته مثل: الكتابة، والكاميرا، والفيديو والكمبيوتر.

● «الحصاد»: كونك من رواد الفن التشكيلي الفلسطيني هل تغيرت الأدوات الفنية وتغيرت الساحة التشكيلية الفلسطينية بين ما كانت عليه وبين اليوم؟

○ سليمان منصور: الفن مثل شجرة الزيتون، جذورها ثابتة في الأرض، لكن أغصانها لا تكفّ عن النمو. نعم، تغيرت الأدوار، وتغيرت الساحة لكن الوجع لم يتغير. في السبعينيات كنا نرسم بمواد بسيطة، أحيانًا من تراب الأرض نفسها، من قماش خشن، من ألوان لا تكاد تكفي لوحة واحدة. اللوحة كانت سلاحا وكانت صرخة وكانت وثيقة.

واليوم الأدوات صارت أكثر حداثة، التكنولوجيا دخلت المرسم، والمواد صارت أغنى وأوسع. صار الفنان الفلسطيني يتنقل بين الأكريليك والديجيتال والفيديو آرت، ويقف على منصات عالمية. لكن التغيير الحقيقي ليس في الأدوات، ولكن في السياق. اليوم الفنان الفلسطيني لم يعد فقط يرسم القضية، بل أصبح يطرح أسئلة جديدة عن الهوية والذاكرة وعن الجسد وعن المنفى وعن العالم الذي تغير من حولنا. صار الفن مساحة للتأمل بقدر ما هو مساحة للمقاومة. ومع ذلك ما زلت أؤمن إن الفنان الفلسطيني مهما ابتعدت أدواته يعود في النهاية إلى تلك اليد التي تحمل الأرض. الفن يتغير نعم لكن فلسطين في اللوحة لا تتغير.

أكيد تغيّرت، فلكل جيل ذوقه وأدواته وفكره، وهذا طبيعي. ولكن أكثر ما يخيفني في هذه المرحلة والمستقبل هو ضعف الانتماء إلى فلسطين كثقافة.

● «الحصاد»: هل النقد الفني التشكيلي قد استطاع الدخول إلى عمق التجربة الفنية للفنان الفلسطيني، أم لا تزال ثمة عوائق؟

○ سليمان منصور: حين نتأمل المشهد التشكيلي الفلسطيني نجد السؤال عن النقد ليس سؤالا هامشيا، بل هو سؤال جوهريٌ يتعلق ببنية الثقافة نفسها. الفن التشكيلي تطور وتحول، ولكن النقد لم يواكب ذلك التحول بالعمق المطلوب. فالموجود هو وصف ومجاملات.

● «الحصاد»: ما الذي منحتك إياه اللوحة، وما الذي منحتها أنت بعد كل هذه السنوات للوحة؟

○ سليمان منصور: الناس تعرفوا عليّ من خلال اللوحة.. اللوحة أعطيتها معظم حياتي، ومشاعري، و أحلامي، وذكرياتي.

اللوحة أعطتني الاستكفاء

● «الحصاد»: مَنْ الرسام العربي أو العالمي الذي أثّر بك كثيراً على المستويين الشخصي والفني؟

○ سليمان منصور: لا يوجد فنان واحد وحيد. فكل فنان جيد لديه مشروع إنساني يعجبني. في فترة من الفترات تأثرت بالفنان المكسيكي «دييغو ريفيرا». ■

*أديبة، شاعرة وقاصّة

من أعمال الفنان التشكيلي سليمان منصور

الحوار كاملاً على موقعنا الإلكتروني

أربع سنوات على غياب روميو لحود

شيء من روح «برودواي»

بيروت ـ عبيدو باشا*

لم يفقد روميو لحود دماءه في المسرح. لم يظهر يوماً وكأنه يحيا على أعشابه المقوية. ظهر الرجل كالفاكهة الطازجة في صالات العالم المسرحي. حين أطل برأسه وجد جسده في مسرحه، مسرح يخف الى الغناء والإستعراض. مسرح غنائي، راقص. لكنه لا ينتمي الى تجربة الرائدين مارون النقاش وأبي خليل القباني. مسرح الأول والثاني، راقص، غنائي. لكنه، مسرح الضرورة في القرن التاسع عشر. مسرح روميو لحود مسرح في الصورة العامة للتجربة المسرحية في لبنان. مسرح ينوع. ثمة من يردد كلاماً يدفعه إلى تخطي التنويع.

أصحاب الكلام يساهمون في تجفيف معنى وجود مسرح لحود في التجربة العمومية المسرحية، بالقول أنه خاص، ريادي. ريادة المسرح الغنائي، الراقص (مع فرقة وديعة ومروان جرار) في مهرجانات بعلبك الدولية مع الأخوين رحباني وفيروز وتوفيق الباشا وزكي ناصيف بالعام 1958. لم يحدث الرجل تحولات بارزة في المسرح. يقدم على أنه كذلك من من يحدون مؤامرة بعدم الكلام عليه كرائد لفن المسرح الغنائي الراقص. مواد مسرحه موجودة، رهط عليها بعض حداثات التصنيع من مسرح برودواي الغنائي هذا ميزانه. هذا ديوانه. إنه في وضعية المدين العالمي لهذا المسرح العالمي. نظام لن يتخلى عنه ، لأنه غدا به صاحب مسرح يحسب على موجوداته المتزايدة.

المسرح جبهة أوسع من صنف مسرحي واحد، وإلا وقع في القطاعات الخاسرة . المسرح قطاع لا يخسر، لا من أسعار الصرف فيه، من سياساته الجمالية المختلفة. بقي روميو لحود في سلطة التمويل الخارجي لمسرحه. تمويلات جمالية، بقيت في حدود تدفقها الأولى، لأن لحود إذ تقدم في هذا المصوغ، تقدم من ما هو عادي إلى ما هو سلعي في حقل موله مسرح برودواي دوماً من دون القوة على القفز من وضعية إلى وضعية . تطوير اتباعي. تطوير بقي في الموضوعية المتعلقة بمصادر المواد الخام للمسرح اللحودي. مسرح قريب من مسرح التلفزيون المسرحي في جمهورية مصر العربية. مسرح يسلي. غير أنه مسرح كادر لا يقفز منه، لا يقفز عليه.

لا يضطرب لأنه يعيد المنتج بعيداً من فكرة إنفراد القدرة. التثبيت شرط للحصول على التسهيلات. هذا ما حدث. من زاوية أخرى، هو التحول في مبادئ اختيار المواقع. مواقع العمل. اندراج في سياق التصعيد. خرج لحود من النزوع النيو محافظ، إلى نزوع أبعد حرية. المسرح محولة هنا . لا مساحة متغيرات من خلال التراكم في السياسات والإجراءات. مصوغ محلي أولاً. مصوغ لا يواجه صراعاً مع فكرة التأميم. ذلك أن القدرة دونها لدى من ذهب إلى اختيارها ووضعها في مرونة وضعها في الأجواء المؤاتية . وضع في جهة المختار لا في الجهة المقابلة . مسرح بروح ريفية حتى ولو خرج على التشدد الريفي في نوع من السياسات الخارجة من ضعف القدرة على النمو .

لا إنكار لخلق جو مؤات لهذا المسرح في لبنان. مسرح له جمهوره، حين يتدخل في عقود عمله مجموعة من المخرجين المسرحيين. إذ أن جيرار افيديسيان، كمثال، قدم درجات إسهام واضحة في هذا النوع، هذا الصنف. لم يضع الياس الرحباني هذا المسرح جانباً، لأنه في توقعاته الأولى. الموسيقي، ثالث الأخوين رحباني، أوجده كدين دائم على نحو دوري، حتى أنه قدم إيلا آخر مسرحياته في هذا الدور المسرحي. لم يشطب غسان الرحباني هذا الدور بدوره في هنيبعل كمثال. لكنه قدمه في ظروف أبعد، في ظروف أضخم. مسرحيات غسان الرحباني يقدم جرعات من مسرح برودواي بأجره الجمالي الحقيقي، حتى إذا ما قورن بمسرحيات لحود تضع المسرحيات هذه في مهب الرياح الأولى: مسرحيات ذات روح ريفية. مسرحيات بدون حاجات جمالية، لأنها تنوجد كعبء من عدم القدرة على قبولها. قبول طوعي، أو قبول قسري. هكذا، بقي مسرح روميو لحود سلطة على نفسه، لا سلطة روميو لحود على مسرحه. مسرح موجة تمد وتجذر. السياسات تتشدد بحالها. لا يتشدد بها أصحابها حين يجدون أنفسهم أفضل حالاً، بحيث يضحي مسرحهم أفضل حالاً .

الأسطرة واحدة من العلل. علل المجتمع اللبناني. لا تسمح الأسطرة بالقراءة النقدية. تلاشيها بصور عامة، تلاشيها بصور خاصة. إذن، الحقبة، استمرار الحقبة. ساهمت أسطرة مسرح روميو لحود في عدم التفاوض عليه، بهدف جدولة ديونه بالكلام الإقتصادي. بقي المسرح على ما هو عليه، من ضبط الحركات إلى ضبط المشاهد من دون الوصول إلى بلاد أخرى. تمزق من ضعف النمو الفكري ، الجمالي. لم تسمح المديونية الجمالية سوى بالوقوع في التضخم الشكلاني.

لن تسمح «الأسطرة» بالصعود القليل. هكذا، بقي مسرح لحود في أفضل صيغه في برودواي الخمسينيات من القرن الماضي. بون واسع من خلال المراوحة في القواعد القديمة. حمى المؤسطرون المصوغ، بحيث بقي بعيداً من قوى الدفع. حول المؤسطرون لحود إلى قديس مسرح. قديس صنف مسرحي فقد هلامه القداسي من استمرار الحقب القديمة في برودواي في الحقب اللبنانية الجديدة. لن يتعزز ما غدا الزامي الوجود كما هو موجود.

اعداد المساحيق أو تركيب وتفكيك الآلات من أجل تمييز مشهد لا من أجل تمييز الصنف كما جرى العمل عليه. بقي المسرح مرجعاً جامداً ، لا مقرض أو محرك. وثيقة. أو مشهد في فيلم وثائقي. القيمة المركزية في المصدر الخارجي. المنجز الباهر في المصدر الخارجي، لأنه لا يتوقف أمام الخوف من خطر الإقدام على تجديد الموجات، موجة إثر موجة. لن يتطور صنف بدفع الأصناف بعيداً من التنافسية. لا تتحرك الأخيرة بعيداً من النقد. تشل الأسطرة النقد. وحين يشل النقد يشل العالي في المسرح. شل مسرح لحود من شل النقد تجاهه. ذلك أن الناقد جراح، لا يرى في حالات الموت حالات مقبولة. لأن النقد تفكيك، لا تفخيم. لا إسارة في هذا الكلام إلى دريدا. التفكيكي الأبرز في عالم المسرح والنقد. بغياب النقد يضحي كلام المريدين كلام جدات.

هذا الكلام النقدي كلام إكرام من قصد وادي النوم . لأن في هذا الكلام الضبط. ضبط العمليات المسرحية من دون تخفيضات أو إعلاءات. ضبط من أجل ضبط التاريخ. ضبط من أجل الحقيقة، من أجل تجسير العلاقة بالأجيال المقبلة. إكرام الغائب، المتوجه إلى وادي النوم ، في ايضاحه على ما هو عليه ، تأثيره ، روحه ، دوائره المعرفية، أموره الطبيعية وغير الطبيعية. ثمة من يخترع زيتاً لعلاج الصلع المسرحي في بعض الحالات. تقديم أدوية الشرب والكبسولات والأقراص، لن يفيد. لأن علاج المسرح في استخلاصه بالتولي والجراحة، مهما جاءت الجراحة عليه .

غادر روميو لحود الباحة منذ زمن، حفل وداعه لا علاقة له بحفلات الوداع وجدها. الوداع من دون قراءة خراب. درس الرجل

روميو لحود

الفنانة الراحلة سلوى القطريب

هندسة الديكور. الديكور الداخلي. لا الديكور المسرحي. هذه اشارة راديكالية. لأن لا علاقة لديكورات المسرح بديكور المنازل. الأخير ديكور تزييني. الأول ديكور توظيفي. الأبريق الفضي هنا ، الساعة على هذا الجدار ، آلة وترية على زاوية الباب، وضع الخزائن . وهكذا. لن ينقص الأمر موقع روميو لحود في جوق المسارح إذ تدبر أمره في هذا البناء. بناء بلا لهب. بحيث لم يواكب كما فعل الآخرون في المحترفات أو التجمعات، الجمعات، الجماعات. كما فكر فيه منير أبو دبس وروجيه عساف ونضال الأشقر وأنطوان ولطيفة ملتقى وبيرج فازليان وريمون جبارة ومحمد كريم وشامل ومرعي ويعقوب الشدراوي وجلال خوري. المئات على وجه التقريب بين ممثلين ومخرجين، وجدوا في المسرح قنهم الغريب، الجميل، المثير، الجذاب. لم يحدث أن وجد مؤلفون في تلك المرحلة، بحيث اضطر المسرحيون إلى الإستعانة بشعراء ومترجمين لكي يعيدوا صياغة ما ارتجلوه ، أو يترجموا ما اختاروه. اذاك، وذاك من عهد بعيد، درس روميو لحود الهندسة الداخلية. يمتلك المهندس الداخلي مهاراته. يمتلك معاييره الجمالية في استقراء مواقع الأدوات والأنسجة المنقوشة والكنبات. تكون روميو لحود في مفهومه الصناعي، التزييني. لا في مفهوم المساحة المسرحية. تكون بحسب مطلوبه لا مطلوب المسرح والمسرحيين والمسرحيات. لم ينوجد في بوهيمية أبطال المسرح الثقافي. أو في نصف بوهيمية. هؤلاء. وجد كمخرج، كملحن، كمؤلف، كمعد بعيداً من مفاهيم وقوة عمليات التغيير الإجتماعي. تموضع، لا قراءة بالعودة إلى المستقبليين في مسرح برودواي. تجسيد الوقائع، بدون الدفع بها قدماً . لم يغطها، لم يغذها بعتمة المسرح الدافعة إلى القشعريرة، كما غذاها المسرحيون وهم يدخلون في اجوائهم المجهولة لكي يقفوا أمام السيد الشكل، على الروايات أو قصائد النثر وكل المجهولات في عالم لا يجد القيم إلا في المجهولات . لم يستغرق يوماً في مصطلحات الأسلوب ولا في محتوياته ولا في تركيزاته. ذكر بورخيس تذكير بجوهر لا بمظهر وهو يبتكر نفسه معتبراً أن ابتكار نفسه رواية، قبل أن يبتكر روايته. اكتفى روميو لحود بالجزء الأول من الإبتكار. أو ابتكار النفس .

إذن ، ثمة احاديث اعلامية . الكلام على مسرحه إعلامي. لا كلام عبور مواقع الضعف والقوة. واقعي، بدون أن يعتبر الواقعية فكرته الدائمة. متحول، لا واقعي، ولا مع الواقعية السحرية ، ولم ير في التغريب ما هو من ممكنات الصحة المسرحية. وقد لا تكون على حد علمه. الواقعية قريبة منه وبعيدة منه. مسرحه بلا شكل، لأنه مسرح كل الأشكال. ذلك أن روميو لحود مدير مسرح أكثر من مسرحي. إن ما قدمه من مسرح تشابه المسرح مع مسرح . هكذا هي مسرحياته، من سنكف سنكف إلى بنت الجبل. عروض مهرجانات، عروض المسارح العادية ، عروض الفنادق. بالأخص فندق فنيسيا وريجنسي بالاس. مهرجانات الأرز ومهرجانات بيبلوس. بقي يعيش تحت غيث مسرح الأنترتيمنت، على مثال الفلكلور، الرقص والغناء .

لم يكن المسرح وياءه. إنه وعاؤه. المسرح تقريبي عنده ، لا شكل يلوى أو يكسر. مسرح سكتشات غنائية. دخل إلى صباح «النموذجية» في «سنكف سنكف"... إنه في قلب ضربات فراشي الأخوين رحباني وتوفيق الباشا وزكي ناصيف وتوفيق سكر، ما سمي الخمسة الكبار في تاريخ الأغنية اللبنانية على غرار الخمسة الكبار في الاتحاد السوفياتي. خدم مسرحيات الآخرين، أفكارهم ذات الروايات والأنفاس القصيرة، بحيث بقي مسرحه فكرة غامضة ، سوى من ناحية التركيز على بهاء الأغاني، لأنها وازنت بين طلعاته ونزلاته، بحيث فهم في آخر الأمر أن في الأغاني ما في نفسه وما هو عليه وما يود أن يكون وكيف يكتب ويلحن . بنت الجبل ضربته الكبرى، مشت على المسرح ببطء سرطان بحري. اربع سنوات على غياب واحد من أبرز العاملين في المسرح الغنائي الإستعراضي، أربع سنوات من فنان وسيط بين نوع من المسرح ونوعه، في تنظيمات مكانية وادعة. ■

*كاتب ومسرحي

أم كلثوم..

تراث عظيم امتزج فيه الفن بالضمير الوطني والوجدان القومي

لندن: أمين الغفاري*

الغناء على الدوام يحمل صورا عديده من القوالب، وفنون التشكيل، فهناك الأغنيه والقصيده والطقطوقه، والموال، والمنولوج، والرباعيه. وكان الغناء على مدى التاريخ هو الصاحب،ورفيق الطريق وصديق الوحده ونديم السهر، ورسول المحبة والسلام. يصاحبنا في ساعات النشوة، وفي لحظات الألم أو الانكسار، فهو في النهاية، قبلة الطرب، ورواء الظمآن في قيظ الملل أو الضجر. وكما تشدو ام كلثوم (المغنى حياة الروح ،يسمعها العليل تشفيه، وتداوي كبد مجروح، تحتار الأطبه فيه غنى لي شوى ، شوى، غنى لي غنى وخد عيني).

وحكاية (أم كلثوم) في عالمنا العربي، حكاية مثيرة، وممتده عبر عشرات السنين، منذ ان طرقت باب الغناء وهي طفله لا تتخطى الخمس سنوات من العمر، حين اكتشف ابوها موهبتها، أو كما تقول أمها، كانت دايما (تسرسع) في البيت. لكنها ايضا لم تكن (تسرسع) فقط ، وانما كان ايضا عقلها الراجح يلاحظ، ويلتقط ما يدور حولها. كانت تلتقط دروس والدها لأخيها (خالد) الذي يعده ليكون منشدا سواء في الموالد، أو المناسبات الدينيه،أو الخاصة التي يقيمها أهل القريه) أو في القري المجاوره. كان يقوم بتلقينه كيف يكون الأنشاد، كما يتأكد من حفظه للكلمات، وفي بعض الأحيان كانت الطفلة الصغيره ذات الخمس سنوات تردد كلمات الأنشاد، وبالطريقه التي يقوم الأب بتلقينها لشقيقها. وسمعها الأب ذات مره، فتملكه العجب والطرب، في آن واحد، وطلب منها ان تعيد ما رددته مرة أخري لكنها رفضت بعناد،الا انه وعدها بأن يحضر لها (الكرمله) وهي نوع من الحلوى،ولكنها اضافت طلبا آخر، وهو (طبق مهلبيه) فوافق، وشدت (أم كلثوم) بما التقطته من والدها،وهو يقوم بتلقين اخيها بعضا من التواشيح والانشاد. تفاجأ الأب، واندهش، واتخذ قراره، ان يستعين بتلك الموهبه في أداء نشاطه.

كان الشيخ (ابراهيم البلتاجي) والد (ام كلثوم) يعمل مؤذناً وإماماً لمسجد قرية (طماي الزهايرة) بمركز السنبلاوين في محافظة الدقهلية. كما كان معروفاً في قريته بإنشاده الديني وعمله في إحياء الليالي والمناسبات الدينية. وكان ما يتحصل عليه من وظيفته ومن نشاط غير الانشاد لا يتعدى عشرون قرشا في الشهر، اي انه كان يعيش على الكفاف. وهكذا كانت الخطوة الأولى لتلك الطفله الريفيه في رحلة المجد التي خطتها . اقتحمت عالم الغناء، وحققت فيه نجاحا ملحوظا، وبسرعان ما تطور، هذا النجاح، الملحوظ الى نجاح باهر شديد الوهج، ثم سرعان ما تطور من جديد فأصبحت (ظاهره) ثم عادت (الظاهره) فتطورت بدورها فأصبحت (رمزا). رمز لوحدة الوجدان العربي ،من المحيط الى الخليج.

وهنا نشير الى ملاحظة جديرة بالتسجيل. وهي رغم ان العرب قد اختلفوا في الكثير من القضايا، وصاروا شيعا وفرقا واحزابا ومدارس ومذاهب متعددة ومتنوعه الا انهم قد اتفقوا على هذا الصوت (أم كلثوم) اتفقوا وبايعوا ايضا. هذا الصوت القوى الساحر الأسر ،الذي انطلق من الأرض العربيه، وسرى في سمائها، فاجتذب الأذان وسيطر على الأسماع وهز المشاعر وامتلك الأفئدة .هذا الصوت الذي كان في مقدوره وحده ان يجمع أمة باسرها لكي تستمع اليه حين يبدأ الغناء .

قال عنها الموسيقار الخالد (محمد عبدالوهاب) ان صوتها هو عاصمة الأصوات العربيه، كما حدد كذلك انها اعظم ناشر لفن الموسيقى، حيث تنشر الالحان على الملايين من المستمعين.

لقاؤها بالشيخ ابو العلا محمد

تعرفت على صوت (الشيخ ابو العلا محمد) من (الجرامفون) في بيت العمدة،حيث كانت صديقتها (ريم) ابنة العمده، وكانت تعتقد انه توفي،ولذلك حين التقته في محطة القطار اثناء سفرها مع والدها كانت شديدة السعاده وقد ترك الشيخ (ابوالعلا) اثره على (ام كلثوم) من خلال تلقينها اولا اصول الانشاد او الغناء وان يكون من خلال الصدر، وليس من ترديد اللسان، وثانيا أنه في عام 1924م قدم الشيخ أبو العلا أم كلثوم إلى الشاعر أحمد رامي في إحدى الحفلات التي أدت فيها أم كلثوم أغنية «الصب تفضحه عيونه» تأليف احمد رامي الذي أدرك أنه قد وجد هدفه فتولى تعليمها أصول اللغة والشعر، وتحسّن مستواها وأضافت مهارات جديدة إلى مهاراتها الغنائية. وثالثا انه نصح والدها بضرورة الانتقال الى (لقاهرة) فان موهبة (أم كلثوم) أصبحت أكبر حجما ،من غنائها في الأقاليم.

ام كلثوم في القاهره

جاءت (أم كلثوم) الى القاهره عام 1924،بعد ان خاضت مصر ثوره عظيمه وهي ثورة (1919)

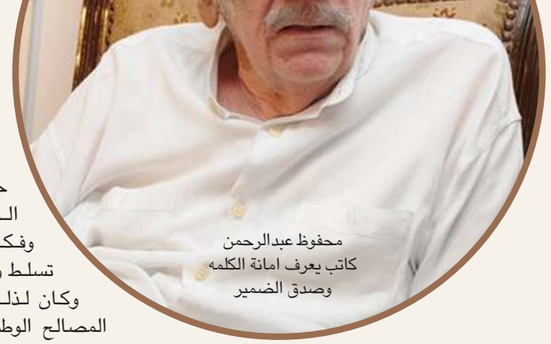

محفوظ عبدالرحمن
كاتب يعرف امانة الكلمه
وصدق الضمير

نتج عنها تصريح 28 فبراير 1922 البريطاني الذي يعطى مصر استقلالا مع تحفظات اربعه هي: 1 ـ حق بريطانيا في تأمين مواصلات امبراطوريتها . 2 ـ حقها في الدفاع عنها ضد اي اعتداء او تدخل اجنبي 3 ـ حماية المصالح الاجنبيه والاقليات فيها 4 ـ ابقاء الوضع في السودان على ماهو عليه .ولذلك صدرت مجموعة من القوانين التي تحمي المصالح الأجنبيه، في أطار محاكم خاصه للتقاضي مع الاجانب، مما ترتب عليه ان الثورة بدأت ،تري وكأن مصر اصبحت تحارب نفسها بينما يتفرج عليها المحتل الغاصب، فالصراع الذي يدور يقوم بين المثقفين الشباب الذين انتجتهم الثورة، ومنهم طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد وفكري اباظه، وبين تسلط واستبداد الحاكم، وكان لذلك انعكاسه على المصالح الوطنيه، وبروز المكانه الخاصه التي ظلت للأجانب، وتمثلت في مظهر يتكرر امام العين وهو حرية جنود الاحتلال من البريطانيين، الذين يمرحون في الشوارع، وفي دور اللهو والسهر في الحانات، دون حسيب او رقيب، لاسيما التي يقوم بالخدمة فيها الأجانب. كان بالقاهرة في ذلك الوقت ثلاثة شوارع رئيسيه، لكل شارع منها سمات محددة.

1ـ شارع محمد علي: حين تمر في ذلك الشارع تجد على يمينك ويسارك، دكاكين صغيرة متراصة، علقت على جدرانها آلات الطرب تعلن الأسطى حميده (العواده)، الأسطى زوبه (العالمه)، نعيمه المصريه (الأرتست) و(المطبلاتيه) اي الذين يهتفون للتشجيع .

2. شارع عماد الدين: تجد كازينو دي باري. مسرح الأجبسيانا. مسرح رمسيس (يوسف وهبي) ،الكوزمو، هذا الشارع للأثرياء.

3 ـ شارع كلوت بك، وتجد فيه محلات (البوظه) وهي للسكارى من الطبقات العامه وعلى امتداد الشارع تقرأ اللافتات عن بقية الخمارات خمارة مانولي، وخمارة خريستو، وخمارة بيانوتي، مقهى كوستى، وكلها تعتمد على العماله الاجنبيه من جنسيات مختلفه، وقد كان هذا الشارع لا يتمتع بسمعه طيبه، حتى قرار محمود فهمى النقراشي رئيس الوزراء عام 1948 بالغاء تلك المحلات اللااخلاقيه التي كانت تدار بتصريح رسمي.

نجوم الطرب

في اطار حرفة الموسيقى والغناء، كانت هناك موسيقى للفقراء، وموسيقى للاغنياء، وغناء للرجال وغناء للنساء في الحفلات التي تقام لدي الأثرياء،فحفلات الأغنياء كان المغنى يلبس البدله (الحله) والمطربون من الكبار امثال الشيخ حامد مرسي واسماعيل سكر ،وعبداللطيف البنا، ولحفلات النساء كانت منيره المهديه وفتحيه احمد وأم كلثوم ،وفي حفلات الزفاف ،كان يسبق حفلة الزفاف ليال من الطرب يغنى فيها مطربون غير معروفين، وليلة الزفاف فهذه للكبار فقط من الأثرياء والمطربين الكبار.

وكانت الحفلات العامه التي يقيمها المتعهدون تغنى اغان مبتذلة، وحتى مطربه في وزن منيره المهدية كانت الأغنيه لا تخلو من تلميحات، غير اخلاقيه فيما عدا المطربه الصاعده (أم كلثوم) فقد كانت تحت رعاية الشاعر (أحمد رامي) والملحنون الدكتور النجريدي لمرحله اولي والشيخ زكريا احمد ومحمد القصبجي، وكانت اغانيها قصائد شعريه تراثيه او كلمات شاعر الشباب كما كان يطلق عليه (احمد رامي).

واذا كان لأم كلثوم من حصاد الأغاني يبلغ (300) اغنية،فقد كتب (احمد رامي) منها (147) اغنيه. كما غنت لبيرم التونسي، واحمد شوقي، وآخرون، ثم غنت لأساطين الشعراء من العالم العربي ،اضافة للأغاني التراثيه.

مرحلة السينما

قدمت ام كلثوم للسينما (ستة افلام) وهي وداد عام 1936 ،نشيد الامل 1937و دنانير 1940 وعايده عام 1942 وسلامه 1945 واخيرا فيلم فاطمه عام 1947 وهي حصيله ليست كبيره، وهذا يكشف طبيعة (أم كلثوم) فهي أولا وأخيرا (صوت) خلق لكي ينشد ويغنى، ويطرب، ويطلق طاقته ،بل ورسالته في هذه الحياة، ان يكون انيسا، وونيسا، ولاتتوزع هذه الحنجرة (الماسيه) بين الشدو والحوارات.

ربما يكون ذلك هو السبب، وخصوصا وان الشامخ الأخر في عالم الطرب والغناء، ليس له سوى سبعة افلام، والفيلم السابع قد تعرض للتلف ،ولم تبق منه سوى عدة فصول. المهم ان القامتين الشامختين في دنيا الطرب ،قد تفرغا للشدو والغناء، ولم يكن لموهبتهما منافس آخر كالتمثيل.

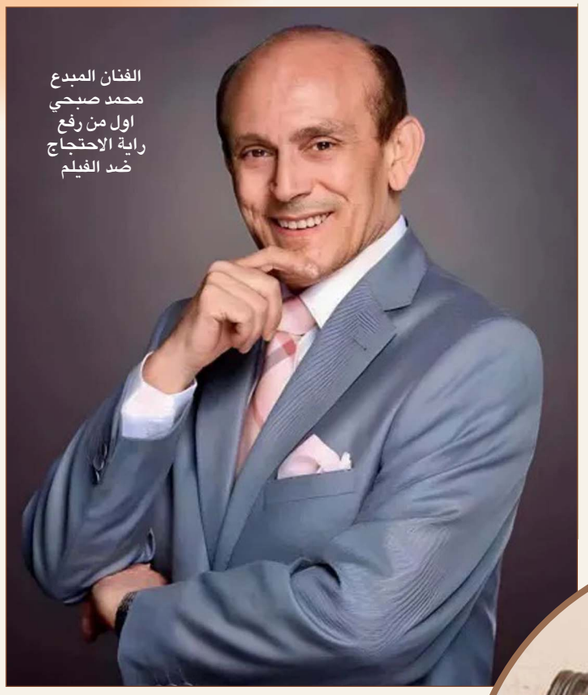

الفنان المبدع
محمد صبحي
اول من رفع
راية الاحتجاج
ضد الفيلم

ام كلثوم

أم كلثوم ليست ككل المطربات

هي مطربه تكشف من خلال التجربه،ان الفن يمكن ان يلتحم بالسياسة،وان الأغنيه يمكن ان تكون سلاحا في المعركه، في الوقت الذي تدلهم فيه الخطوب، وتحتد فيه حركة الصراع ،وتحيط الأخطار بتراب الوطن.

وهكذا جندت هذه السيده المطربه، تلك المعاني، ووقفت ظهيرا للجندى المقاتل على جبهة النار، سواء في 1956 أبان العدوان الثلاثي على مصر، او اثر العدوان الاسرائيلي فى 67، وقد قالت نصا في احد التصريحات لها (اذا كان الجندي يقف على الجبهة يقاتل، فان واجبى ان اقف خلفه اغنى له، وادعمه، وأطمئنه، ان بلده كلها معه).

لقد طافت بالكثير من الاقاليم في مصر والعالم العربي، وذهبت الى بعض العواصم العالميه بل ان الرئيس عبدالناصر حين توفي،كانت في موسكو تحيي حفلا من اجل دعم المعركة لأسترداد الأرض السليبه. وحين كانت في باريس تحيي حفلا مماثلاً قامت احدى الاعلاميات بسؤالها، ما اجمل شيئ رأيته في باريس ردت قائله (المسله المصريه في قلب باريس).

فيلم (أم كلثوم)

ظهر من قبل مسلسل (ام كلثوم) للكاتب الكبير المخضرم (محفوظ عبدالرحمن) وهو كاتب له باع طويل في الكتابه التاريخيه وخصوصاً الأبطال، والزعامات، والحقب التاريخيه، فكتب عن سليمان الحلبي، وعبد الله النديم وناصر 56، وسقوط غرناطه،وبوابة الحلواني، بينما كاتب فيلم (ام كلثوم)كتب فيلم (الفيل الأزرق) عن مستشفى الامراض العقليه والطبيب المريض، وقد كتب في مقدمة فيلم (أم كلثوم) أنه (مستوحي من قصص حقيقيه، اي ان النية كما قال في تصريح تلفزيوني (أردنا ان نكسر الطبقه التي تغلف حياة ام كلثوم، اي ان هناك من البداية (نية تنمر) ويكشف عنها، انه في بداية الفيلم ،ان صورها وهي (تبصق في زجاجة الكازوزه حتى تحرم شقيقها من ان يشرب منها وتنفرد هي بالأستمتاع بها، وهي (لقطه مقززه) للمشاهد، ولكنه حشرها (وغير موثقه) لكي يبني عليها مجموعه من الآفات الشخصية. لا اريد ان استرسل في طرح مشاهد من الفيلم، فهو اولا لا يستحق ان يشار حتى اليه، ويكفي انصراف المشاهدين عنه، وما استقبل به من استهجان .وشكرا للفنان المبدع (محمد صبحى) فهو اول من رفع الرايه مستهجنا الفيلم، وعاتبا على ابطاله.

الفيلم به مجموعه من الاسماء المعروفه التي اسند المخرج لها بعض الادوار في مشاهد قليله، يبدو ان المخرج اراد ان يغطي على خطايا الفيلم ويعطيه قدراً من الاهتمام بكثرة الاسماء المعروفه التي ظهرت في الفيلم.

من جانب آخر فقد قيل ان ميزانية الفيلم كانت (ثمانية ملايين دولار) ويبدو ان الاجور وارتفاعها لم يصاحبها تدقيق في مستوى الدوراو رسالته، ومدى صدقها. عموما خرج الفيلم،ولم يحقق تجاحا، وان كان يعطى عظة اكثر لصناع السينما، ان يبتعدوا عن مناطحة مشاعر الجماهير،ان لم يكن اغتيال وجدانهم .

واخيراً

ستبقى (أم كلثوم) في تاريخ الغناء نموذجا ومثالا وعنوانا للصوت المعجزة، وكما قال الموسيقار الخالد محمد عبدالوهاب (ان صوتها هو عاصمة الأصوات الغنائيه) وسيبقى دورها في حركة الغناء والطرب تجسيدا للكلمة الحيه في النظم، والمعنى العميق في التعبير، وانها حين ظهرت، ارتفعت بمستوى الكلمات وابتعدت في كل خطواتها عن كل الوان الرخص او الابتذال، وانها عصية بسيرتها على اي محاولة لأمتهان صورتها أو التقليل من صفاتها او دورها.

ستبقي نورا وشعاعا مهما كانت صور الكذب او التضليل. انها في الأول وفي الآخر (أم كلثوم) بكل ما يحمله الأسم من شموخ وكبرياء.

*كاتب وصحافي مصري

آخر نصوص جو قديح: جوزيف ق... أو التلاوة الإحتجاجية في أقصاها

بيروت ـ عبيدو باشا

لا وداعة في نص جو قديح . لا هدوء. ثمة شفافية. لكنها، ليست سهلة وبسيطة. لأن قديح يتكلم على الكل من داخل نفسه، يتكلم على الكل وهو داخل نفسه والكل في داخله. لا شيء سوى الموت في النص المسرحي باللغة العربية الفصحى. فرانكوفوني، معلم المسرح في الجامعة اليسوعية، يؤلف بالعربية الفصحى. للوهلة الأولى، تقول أن لا علاقة له بهذه الأبجدية. غير أن القراءة في فترة الصباح والظهر وبعد الظهر والمساء تؤكد أن اللغة العربية الفصحى في النص، لغة لا قشرة خشب. مؤلف مجنون في جوزيف ق. هكذا، يؤلف من دون أن يظهر كقط أحول ولا كصباح ينام على الصباح بعد أن طرد دوريات الليل من برامجها. هذا وقته. هذا وقت رجل الستاند آب كوميدي في تأليف نص لا علاقة له بهذا النوع المسرحي إلا من خلال المقاطع الفواحة الطويلة. ثمة نواح في النص، ثمة هذر من كلام كثير يقول أن الحياة موجودة، وحدها موجودة حتى في وجود الموت .

شياطين الداخل على المذهب الطبيعي ، معطوف على شيء من الواقعية اللاهية، لا العبث حيث يختلف الجميع عليه لأنهم لا يمتلكون معلوماته المتخصصة. الكل متساو في النص على الرغم من التفاوت القيمي والتفاوت المساحي، ما قد يدفع إلى السؤال مجدداً حول وجود النص في ملامحه البارزة في الستاند آب كوميدي، بالرجوع إلى التفاصيل لقراءة كيفية مساهمة الأداءات في قوة الشخصيات أو انتقاصها في الشيء المنجز. وما إذا يمكن تحقيق الشيء المنجز من خلال أنواع معينة من ممارسات الأداء دون غيرها .

لا اقترح تعريفاً إجرائياً للنص. دراما أو مونودراما يقنعها جو قديح بحقائق محفزة على التمييز بين الفهم المسرحي الأساسي والفهم المسرحي الأبعد أو الأقرب. هذا نص مشغول بالمعيارية الشخصية، بالتجربة الشخصية، من مواجهة قديح لانحرافاته الصحية وصولاً الى اتهامات طالته وهي غير موجودة، إلا كشرط من شروط النجاح عند المتهمين. المطالعة الكبرى في وجه القوى المسيطرة، الأبديولوجيا السائدة، حيث يعاد انتاج الأوضاع والشخصيات. بالنص، اقتراح موت الجميع ، حتى يخف القلق ولا يشعر من يبقى أنه سجين سجانيه منذ أكثر من خمسين عاماً. بالنص مهنة ، مهنة جو قديح وهي متطورة صعوداً في لعبة حزينة تتفتح فيها الأوردة بانفجارها. لقد خمر الموت الجميع. إذن، ليمت الجميع تحت الشراشف ، أو فوقها. لا يهم. ما يهم أن يموتوا لكي يضحي المجانين عشاقاً والبحيرات أطواقاً. كأنه يودع الديوك في نص ديوكي لا يتوقف عن الصياح. الصدق في النص أبد. لا مداعبات رطبة. لا نساء ينمن هانئات إذ يقتدن إلى مراحل «عذوبة قطع الأعضاء» بعد أن باعدن أفخاذهن لكي يتحابوا سلفاً مع جلاديهم.■

مكة في كتابين:

كتاب لألماني مسلم وآخر لأميركي صهيوني (1- 2)

رؤوف قبيسي*

مكة المكرمة واحدة من أقدم المدن المأهولة في شبه الجزيرة العربية. اكتسبت مكانتها التاريخية والدينية بفضل موقعها الجغرافي ودورها الروحي في العالم الإسلامي. تقع في غرب المملكة العربية السعودية ضمن منطقة الحجاز، وقد ارتبط اسمها منذ القدم بالعبادة والتجارة والحضارة.

تشير الروايات التاريخية والدينية إلى أن جذور مكة تعود إلى زمن سحيق، ووفقاً للتقاليد الإسلامية، قام إبراهيم وإسماعيل ببناء الكعبة لتكون بيتاً للعبادة والتوحيد، ومع مرور الزمن أصبحت مركزاً روحياً يجذب القبائل العربية للحج والزيارة، حتى قبل ظهور الإسلام.

في القرون التي سبقت الإسلام، لعبت مكة دوراً مهماً كمركز تجاري بسبب موقعها على طريق القوافل الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بالشام، ما جعلها محطة رئيسية للتجارة بين الحضارات المختلفة. وقد ازدهرت فيها الأسواق الموسمية التي كانت تجمع القبائل للتبادل التجاري والثقافي. وكانت قبيلة قريش هي القوة الاجتماعية والسياسية الأبرز في المدينة، حيث تولت إدارة شؤون الكعبة وتنظيم شؤون الحج والتجارة.

تذكر كتب التاريخ أن مكة خضعت خلال العصور الإسلامية اللاحقة لحكم دول وخلافات متعددة مثل الدولة الأموية والدولة العباسية ثم الدولة العثمانية، وصولاً إلى انضمامها إلى المملكة العربية السعودية في القرن العشرين في عهد الملك عبد العزيز آل سعود.

واليوم تستقبل مكة ملايين المسلمين سنوياً لأداء الحج والعمرة، حيث يقصدون المسجد الحرام الذي يحيط بالكعبة. وقد شهدت المدينة توسعات عمرانية كبيرة لتسهيل استقبال الحجاج من مختلف أنحاء العالم. وهكذا، فإن مكة ليست مجرد مدينة تاريخية، بل هي رمز ديني وثقافي يجمع المسلمين حول العالم. وعلى مدى آلاف السنين ظلت مكة مركزاً للروحانية والتاريخ والحضارة، محافظةً على مكانتها الفريدة في قلوب أكثر من مليار مسلم.

هناك كتابان عن مكة يحملان تقريبا العنوان نفسه وهو "رحلة إلى مكة"، لكنهما يختلفان أشد الاختلاف في المضمون. الأول للدكتور مراد هوفمان، وهو دبلوماسي ومفكر ألماني اعتنق الإسلام، والثاني لمؤلف أميركي يهودي صهيوني الهوى اسمه أفي ليبكين وعنوان كتابه "العودة إلى مكة". في الكتاب الأول يروي الدكتور هوفمان رحلته الفكرية والروحية من خلفية كاثوليكية ألمانية إلى اعتناق الإسلام، مع محاولة تفسير الإسلام للعقل الغربي بلغة فلسفية هادئة. يؤكد أن الإسلام لا يتعارض مع التفكير العلمي، ويرى أن العقيدة الإسلامية تخاطب الفطرة والمنطق دون تعقيد لاهوتي، ويدعو إلى حوار حضاري قائم على الفهم المتبادل بدلا من الصدام.

يتناول الكتاب تجربة اعتناق الإسلام من منظور مثقف أوروبي، عاش في قلب المؤسسة الدبلوماسية الغربية، وهو لا يقدم في عمله مجرد سيرة ذاتية روحية، بل يطرح رؤية فكرية متكاملة تسعى إلى بناء جسر فهم بين العالمين الإسلامي والغربي، مستنداً إلى تجربة شخصية عميقة وتأملات فلسفية مطوّلة.

في سياق ثقافة أوروبية عقلانية تؤمن بالحداثة والليبرالية، غير أن احتكاكه المباشر بالعالم الإسلامي، خاصة خلال عمله الدبلوماسي في الجزائر في ستينيات القرن العشرين، شكّل نقطة تحول حاسمة في مساره الفكري. فقد وجد في المجتمع الجزائري المتشبث بدينه رغم الاستعمار الفرنسي، صورة مختلفة عن الإسلام الذي عرفه عبر الإعلام الغربي. بدأ يسأل نفسه عن سرّ هذه القوة الروحية التي تمنح الناس القدرة على الصمود والتضحية.

تتعمق رحلته الفكرية عندما يبدأ بقراءة القرآن الكريم ودراسة العقيدة الإسلامية دراسة عقلانية منهجية. ويؤكد في غير موضع أن ما جذبه إلى الإسلام لم يكن عاملاً عاطفياً أو اجتماعياً، بل انسجاماً منطقياً بين التوحيد الخالص ومفهوم الإله الواحد الذي لا تشوبه تعقيدات لاهوتية. يرى أن الإسلام يقدّم تصوراً بسيطاً ومباشراً للعلاقة بين الإنسان والله، دون وسائط كهنوتية، ودون عقائد يصعب التوفيق بينها وبين العقل الحديث.

أحد المحاور المركزية في الكتاب هو فكرة التوافق بين الإسلام والعقل. يرفض هوفمان الأطروحة الشائعة في بعض الأوساط الغربية التي تربط الدين عموماً والإسلام خصوصاً بالتخلف أو اللاعقلانية. بل يجادل بأن الإسلام في جوهره دين يدعو إلى التفكير والتأمل، ويضع طلب العلم في منزلة رفيعة. ويعتبر أن الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي ليست نابعة من تعاليم الإسلام، بل من عوامل سياسية وتاريخية معقدة، ومن سوء الفهم المتبادل بين الحضارات. كما يخصص مساحة مهمة لتحليل صورة الإسلام في الغرب. ينتقد التناول الإعلامي الذي يربط الإسلام بالعنف أو التطرف، ويعتبر أن هذه الصورة الجزئية لا تمثل حقيقة مليار مسلم يعيشون حياتهم اليومية بصورة طبيعية وسلمية، كما يدعو إلى تجاوز الأحكام المسبقة وإلى إقامة حوار حضاري يقوم على المعرفة لا على الخوف. ويؤكد أن التعايش ممكن، بل وضروري، في عالم يتجه نحو مزيد من الترابط والتداخل الثقافي. يتطرق هوفمان كذلك إلى وضع المسلمين في أوروبا، ويرى أن الإسلام ليس غريباً عن القارة الأوروبية كما يتصور بعض اناس أحياناً، بل هو جزء من تاريخها منذ قرون، سواء في الأندلس أو في البلقان. ويعتقد أن المستقبل سيشهد حضوراً متزايداً للمسلمين في المجتمعات الأوروبية، الأمر الذي يتطلب صياغة نموذج اندماج يحفظ الهوية الدينية، ويراعي في الوقت نفسه قوانين الدولة الحديثة. من هذا المنطلق يرفض خيارين متطرفين: الذوبان الكامل الذي يفقد المسلم خصوصيته، والانغلاق الذي يعزله عن مجتمعه.

من الناحية الأسلوبية، يجمع الكتاب بين السرد الذاتي والتحليل الفكري. لغة المؤلف هادئة ومتزنة، بعيدة عن الخطاب الدعوي الانفعالي. يخاطب القارئ الغربي بلغة يفهمها، مستعيناً بالمفاهيم الفلسفية والقانونية التي تشكل خلفيته الثقافية، وهذا ما يمنح الكتاب قوة إقناعية خاصة، إذ يبدو كحوار داخلي صادق أكثر منه محاولة لإقناع خارجي. ولا يخلو العمل من نقد ذاتي للغرب الحديث، خاصة في ما يتعلق بالمادية المفرطة وفقدان المعنى الروحي، ويرى المؤلف أن الحضارة الغربية حققت إنجازات علمية وتقنية هائلة، لكنها تعاني في المقابل من فراغ روحي وأزمات أخلاقية. وفي رأيه أن الإسلام بوصفه إطاراً قيمياً قادراً على إعادة التوازن بين المادة والروح، بين الفرد والمجتمع، وبين الحرية والمسؤولية.

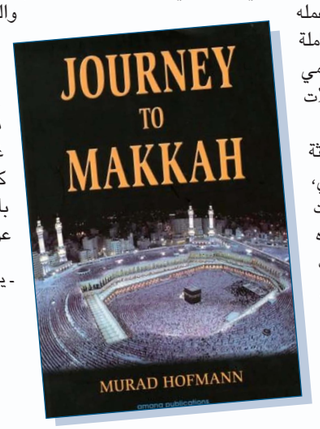

في المحصلة، يمكن القول إن "العودة إلى مكة" ليس مجرد قصة اعتناق دين، بل هو مشروع فكري يسعى إلى إعادة تعريف العلاقة بين الإسلام والغرب، ويقدم نموذجاً للمثقف الذي لم يتخلَّ عن أدواته العقلية عندما غيّر قناعاته، بل استخدمها للوصول إلى قناعة جديدة، كما يوجّه رسالة مفادها أن الحوار الحقيقي يبدأ بالإنصات الصادق والبحث المشترك عن الحقيقة، بعيداً عن الصور النمطية والأحكام المسبقة. ■

- يتبع في العدد المقبل المقال الخاص بكتاب «العودة إلى مكة».

*كاتب وناقد لبناني

بدأ العد التنازلي لمونديال 2026 وسط اضطرابات وتهديد بالانسحاب

منتخب إنجلترا حقق أفضل النتائج في التصفيات وبات مرشحا قويا للفوز باللقب

منتخب البرازيل

منتخبات المجموعات الـ12 في الميزان

لندن: هاني عبيد

مع بدء العد التنازلي على انطلاق أكبر نسخة في تاريخ كأس العالم لكرة القدم المقررة في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، بمشاركة 48 منتخبا، قياسا بـ 32 في نسخة قطر 2022، تطغى المخاوف الأمنية في ظل مشهد مضطرب عالمياً.

ويفتتح المونديال في 11 يونيو (حزيران) في استاد أزتيكا بمدينة مكسيكو، على أن تختتم فعالياته في ملعب «ميتلايف» قرب نيويورك والذي يتسع لـ82,500 متفرج في 19 يوليو (تموز).

ورغم الأزمات المتلاحقة دولياً والتي تفاقمت بعد الهجوم الاميركي الإسرائيلي على إيران، وتصاعد العنف في المكسيك، والقلق بشأن سياسات الرئيس الأميركي دونالد ترامب الداخلية والخارجية، يؤكد رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم "فيفا" السويسري جاني إنفانتينو، أن البطولة ستقام في أجواء رياضية رائعة وستحقق مكاسب قياسية تبلغ 11 مليار دولار أميركي، متفوقة بشكل كبير على 7 مليارات دولار التي حققتها نسخة 2022 في قطر.

ومع تلويح إيران، التي ستلعب ضمن المجموعة السابعة بلجيكا ونيوزيلندا ومصر، بالإنسحاب من البطولة لأن جميع مبارياتها ستقام على الأراضي الأميركية، يترقب "فيفا" الموقف ومحذراً من فرض غرامات كبيرة عليها.

وسيكون مونديال 2026 على موعد مع ظهور أخير لقائد منتخب الأرجنتين وحامل اللقب ليونيل ميسي في المحفل العالمي، حيث سيحتفل بعيد ميلاده الـ39 في 24 يونيو المقبل. ويشارك ميسي في كأس العالم للمرة السادسة على أمل تحقيق إنجاز غير مسبوق بالفوز باللقب للمرة الثانية على التوالي. وعلى نفس الدرب يأمل أسطورة البرتغال المخضرم كريستيانو رونالدو البالغ من العمر 41 عاماً، أن يحمل بلاده الى منصة التتويج العالمية للمرة الأولى، بعد أن سبق ونجح بالتتويج بكأس أوروبا، وحطم كل الأرقام القياسية تهديفاً ومشاركات دولية.

تقييم للمجموعات وتوقع المتأهلين

بعد معرفة الفرق التي ستتنافس في دور المجموعات، فما هي أبرز المباريات التي تستحق المشاهدة، وكيف ستكون نتائجها؟

● **المجموعة الأولى:**

المكسيك، جنوب أفريقيا، كوريا الجنوبية، منتخب من الملحق الأوروبي الرابع (الدنمارك، مقدونيا الشمالية، جمهورية التشيك، أو جمهورية أيرلندا).

جرت العادة أن تكون قرعة كأس العالم "سهلة" بالنسبة للبلد المضيف، ورغم أن هذا لا يحدث دائماً ، إلا أن نتيجة القرعة تبدو جيدة للغاية بالنسبة للمكسيك ومديرها الفني خافيير أغيري. تراجعت الثقة كثيرا في منتخب المكسيك، الذي يحتل التصنيف الخامس عشر عالميا، في الآونة الأخيرة. وعلى الرغم من أن المباريات الودية لا تُعتبر دائماً مؤشراً موثوقا للحكم على الأداء المستقبلي، إلا أن عدم الفوز في أي مباراة منذ نهائي الكأس الذهبية ليس أمراً جيداً بكل تأكيد.

ميسي قائد منتخب الأرجنتين

وتأهلت جنوب أفريقيا، المصنفة رقم 61 عالمياً، بعد مشوار سهل في التصفيات لدرجة أنها تأهلت رغم خصم نقاط منها بسبب إشراكها لاعبا لم يكن من المفترض أن يشارك في إحدى المباريات. أما كوريا الجنوبية، المصنفة 22 في تصنيف "فيفا"، فقد اجتازت التصفيات الآسيوية بسهولة دون أي هزيمة، ورغم أنها ليست بنفس قوة وموهبة الفرق السابقة، إلا أنها من المرشحين الأوفر حظًا للفوز بالمركز الثاني.

الترتيب المتوقع للمجموعة: المكسيك، كوريا الجنوبية، المنتخب الصاعد من الملحق الأوروبي، جنوب إفريقيا.

● **المجموعة الثانية:**

كندا وقطر وسويسرا ومنتخب من الملحق الأوروبي الأول (إيطاليا، أيرلندا الشمالية، ويلز، أو البوسنة والهرسك)

من المتوقع أن ينتهي قريباً انتظار كندا لحصد أول نقطة لها في كأس العالم، لكن مدربها جيسي مارش، لا يتعامل مع أي شيء على أنه مضمون «لا سيما وأن إيطاليا، الفائزة باللقب أربع مرات، قد تكون خصمه في المباراة الافتتاحية في 12 يونيو (حزيران)» لكن المجموعة الثانية تُعطي أملًا حقيقيًا للبلد المضيف في التأهل للدور التالي.

هذه هي المشاركة الثالثة لكندا في كأس العالم، وقد خسرت جميع مبارياتها في النسختين السابقتين، بما في ذلك قبل أربع سنوات في مونديال قطر. في المقابل تحتل قطر المركز 51 عالميا، لكن هذا التصنيف يعتمد بشكل كبير على استضافتها لكأس العالم الأخيرة، ثم تأهلت لمونديال 2026 بعد فوزها على الإمارات في أكتوبر (تشرين الأول) لتتصدر المجموعة الأولى من تصفيات آسيا. يتولى تدريب قطر الإسباني جولين لوبتيغي، الذي سبق له تدريب وستهام الإنجليزي، إلا أنه على الصعيد الدولي إشتهر باستقالته أو إقالته من تدريب إسبانيا عشية انطلاق كأس العالم 2022 بعد إعلانه موافقته على تولي قيادة ريال مدريد بعد البطولة.

الترتيب المتوقع للمجموعة: سويسرا، كندا، الفائز من الملحق الأوروبي، قطر.

● **المجموعة الثالثة:**

البرازيل والمغرب وهايتي واسكتلندا.

من المتوقع أن تتصدر البرازيل هذه المجموعة، لكن المغرب سيكون منافسا شرسا، خاصة بعد المستويات الرائعة التي قدمها في كأس العالم 2022 عندما أصبح أول منتخب أفريقي يصل إلى نصف النهائي.

يضع الاتحاد البرازيلي لكرة القدم أماله على خبرة المدير الفني الإيطالي كارلو أنشيلوتي الذي تم تعيينه قبل 6 أشهر من أجل الفوز بكأس العالم للمرة السادسة. من المؤكد أن أنشيلوتي سيكون سعيدا بالمجموعة التي تضم أيضًا اسكتلندا وهايتي التي تظهر هايتي في كأس العالم لأول مرة منذ عام 1974، وتعود اسكتلندا لأول مرة منذ عام 1998 وتلتقيان في المباراة الأولى، لذا يمكن للفائز أن يخطو خطوة كبيرة نحو التأهل إلى مراحل خروج المغلوب.

من شبه المؤكد أن تُحسم هذه المجموعة من خلال مواجهة البرازيل والمغرب حيث يتطلع الأخير بأنه قادر على تحقيق المفاجأة، خاصة في ظل تعرض البرازيل لضغط كبير من أجل الفوز بكأس العالم لأول مرة منذ عام 2002.

الترتيب المتوقع للمجموعة: البرازيل، المغرب، اسكتلندا، هايتي.

● **المجموعة الرابعة:**

الولايات المتحدة، باراغواي، أستراليا (منتخب من الملحق الأوروبي الثالث ... تركيا، رومانيا، سلوفاكيا، أو كوسوفو)

من المؤكد أن المدير الفني للولايات المتحدة الأمريكية، ماوريسيو بوكيتينو، لم يكن يحلم بمجموعة أفضل من هذه، لكن هذا لا يعني أن منتخبه سيكون في نزهة.

أوقعت القرعة الولايات المتحدة ضد سادس أفضل فريق في تصفيات أمريكا الجنوبية المؤهلة للبطولة وهو الباراغواي، وأمام منتخب أستراليا الذي خسر أمام البحرين بهدف دون رد وتعادل سلبيا مع إندونيسيا في سعيه للوصول إلى المونديال؛ بالإضافة إلى منتخب من أربعة منتخبات فشلت في تجاوز التصفيات الاوروبية من مرحلتها الأولى.

الترتيب المتوقع للمجموعة: الولايات المتحدة (منتخب الملحق الأوروبي)، الباراغواي، أستراليا.

● **المجموعة الخامسة:**

ألمانيا وكوراساو وكوت ديفوار والإكوادور.

تضم هذه المجموعة منتخبًا قويًا كبيرًا مرشحًا للتأهل كمتصدر (ألمانيا) ومنتخبين مثيرين للاهتمام هما الإكوادور وكوت ديفوار، وفريقًا ضعيفًا بلا شك وهو كوراساو. يسعى منتخب ألمانيا، بطل نسخة 2014، إلى استعادة توازنه بعد خروجه المحرج من دور المجموعات في نسختي 2018 و2022. ويمتلك المنتخب الألماني مدربًا قديرا هو جوليان ناغلسمان، ويلعب بطريقة واضحة تعتمد على الاستحواذ والضغط العالي، كما يضم كوكبة من اللاعبين الشباب الموهوبين، على الرغم من أنه لم يقدم المستويات المطلوبة عندما واجه منتخبات من مستوى النخبة مثل فرنسا والبرتغال في بطولة اوروبا 2025.

حققت الإكوادور نتائج جيدة للغاية في التصفيات، واحتلت مركزا أفضل من البرازيل، ولديها لاعبون يلعبون بانتظام مع فرق أوروبية كبرى مثل مويسيس كايسيدو في تشيلسي، وبييرو هينكابي مع أرسنال، ووِيليان باتشو في باريس سان جيرمان. في المقابل تعود كوت ديفوار إلى كأس العالم بعد غياب دام 12 عاماً، وبينما لا يمكن لهذا الفريق أن يضاهي الجيل الذهبي السابق للأفيال الإيفوارية من حيث الأسماء، إلا أنه يبدو قويا من الناحية الجماعية.

الترتيب المتوقع للمجموعة: ألمانيا، الإكوادور، كوت ديفوار، كوراساو.

● **المجموعة السادسة:**

هولندا، اليابان، تونس، ومنتخب من الملحق الأوروبي الثاني (أوكرانيا، السويد، بولندا، أو ألبانيا).

من المؤكد أن كل شيء وارد في كأس العالم، لكن من الصعب أن يتصدر أي فريق هذه المجموعة سوى هولندا. وصل المنتخب الهولندي بقيادة المدير الفني رونالد كومان إلى الدور ربع النهائي في عام 2022، وخسر بركلات الترجيح أمام الأرجنتين، التي فازت باللقب في نهاية المطاف. إنه فريق يضم كوكبة من اللاعبين الموهوبين – العديد منهم يلعبون في الدوري الإنجليزي الممتاز – ولم يهزم في التصفيات في أي مباراة، وحقق الفوز في ست من ثماني مباريات.

مع ذلك، لا يمكن الاستهانة باليابان التي فازت على إسبانيا في دور المجموعات في مونديال قطر. يضم المنتخب الياباني عددا من اللاعبين الموهوبين، بما في ذلك تاكيفوسا كوبو لاعب ريال سوسيداد الإسباني، وكاورو ميتوما لاعب برايتون الانجليزي. ووفقا للمستوى الذي ظهر عليه في كأس افريقيا بداية هذا العام، من الصعب توقع وصول منتخب تونس إلى مراحل خروج المغلوب، لكنه حقق مفاجأة كبيرة في عام 2022 عندما فاز على فرنسا وصيفة البطل في المباراة الأخيرة من دور المجموعات. ستكون هذه هي المرة السابعة التي تتنافس فيها تونس في النهائيات، على الرغم من أنها لم تتقدم أبدًا إلى ما بعد دور المجموعات.

الترتيب المتوقع للمجموعة: هولندا، اليابان، (منتخب الملحق الأوروبي)، تونس.

● **المجموعة السابعة:**

بلجيكا، مصر، إيران، نيوزيلندا

من الصعب التكهن

رونالدو قائد منتخب البرتغال

»

بنتائج هذه المجموعة، لكن نظريًا، تُعتبر بلجيكا ومصر أفضل منتخبين في المجموعة، ومن المتوقع تأهلهما. ومع ذلك، لا يجب أن ننسى أن قرعة 2022 أوقعت بلجيكا في مجموعة تبدو سهلة نظريا مع المغرب وكرواتيا وكندا، لكنها احتلت المركز الثالث! ستكون نيوزيلندا واحدة من أقل الفرق تصنيفًا في كأس العالم، لكنها تمتلك القدرة على تحقيق المفاجأة، ففي مونديال 2010 تعادلت مع إيطاليا حاملة اللقب بهدف لمثله، ولم يحالفها الحظ في التأهل للدور التالي. ولا ينبغي الاستهانة بإيران أيضًا، فهي تحتل المركز العشرين عالميًا، وكادت أن تتأهل من مجموعتها في مونديال قطر 2022، على الرغم من وقوعها في مجموعة تضم إنجلترا والولايات المتحدة وويلز. على الأقل، سيكون من الصعب اللعب ضد إيران، وهو ما يجعلها منافسا لا يمكن الاستهانة به.

الترتيب المتوقع للمجموعة: بلجيكا، مصر ، إيران، نيوزيلندا

● المجموعة الثامنة:

إسبانيا، كاب فيردي، السعودية، الأوروغواي.

بدا الأمر في البداية وكأن القرعة ستكون قاسية على منتخب إسبانيا، بعدما أوقعته إلى جانب الأوروغواي، لكن الأمر لم ينته على هذا النحو، حيث كانت الدولتان الأخريان اللتان تم سحبهما أقل قوة. لذا، سيكون الصراع على تصدر المجموعة بين إسبانيا وأوروغواي، لكن كيف سيكون الترتيب؟ حقق المدير الفني الارجنتيني مارسيلو بيلسا نتائج جيدة مع الأوروغواي، خاصة في بداية ولايته، لكن الأشهر القليلة الماضية كانت صعبة بعد الهزيمة المذلة أمام الولايات المتحدة خلال فترة التوقف الدولي قبل الأخيرة. وبالتالي، ستكون مهمة إسبانيا سهلة في هذه المجموعة. فرغم خسارتها نهائي دوري الأمم الأوروبية أمام البرتغال، إلا أنها قدمت أداءً مذهلاً منذ تولي لويس دي لا فوينتي المسؤولية الفنية. أعرب المهاجم الواعد لامين جمال عن ثقته في قيادة منتخب بلاده للفوز باللقب.

وسيكتب منتخب كاب فيردي أول ظهور له بالمحفل العالمي بعدما قدم أداءً رائعًا في التصفيات الأفريقية، ولديه لاعبان مميزان، بما في ذلك المدافع لوغان كوستا المولود في باريس. أما بالنسبة للسعودية، فتمثل المشاركة تحديًا كبيرًا لمدربها الفرنسي هيرفي رينار، الذي كان موجودا بالفعل في مونديال قطر عام 2022 وعاد هذه المرة لمحاولة قيادة المنتخب للصعود إلى الأدوار الإقصائية.

الترتيب المتوقع للمجموعة: إسبانيا، الأوروغواي، السعودية، كاب فيردي..

● المجموعة التاسعة:

فرنسا، السنغال، النرويج ومنتخب من الملحق العالمي الثاني (العراق، بوليفيا، سورينام).

سيفتتح المنتخب الفرنسي المتوج باللقب مرتين (ووصيف مونديال قطر 2022) مشواره بمواجهة السنغال في مواجهة تذكرنا بلقاء المنتخبين قبل أكثر من 20 عامًا عندما خسرت فرنسا المؤهلة لكأس العالم، ليقود جيلًا موهوبًا من اللاعبين النرويجيين إلى أول نهائيات لهم منذ عام 1998.

الترتيب المتوقع للمجموعة: فرنسا، النرويج، السنغال، الصاعد من الملحق العالمي.

● المجموعة العاشرة:

الأرجنتين، الجزائر، النمسا، الأردن.

يواجه المنتخب الأرجنتيني، حامل اللقب، مجموعة من التحديات، على الرغم من أنه سيضمن على الأرجح تصدره للمجموعة. يضم المنتخب الجزائري وجوها مألوفة على المستوى الدولي مثل رياض محرز وإسلام سليماني في الهجوم، لكن محمد عمورة كان هدافه الأول في التصفيات، التي فازت فيها الجزائر بثماني من أصل عشر مباريات. يمتلك المنتخب الجزائري عددا من اللاعبين المبدعين، كما دعم صفوفه بضم لوكا زيدان (ابن زين الدين زيدان) في مركز حراسة المرمى.

يتولى رالف رانغنيك قيادة منتخب النمسا، ولا شك أن لديه خطة جاهزة للعب بكل قوة. ثم هناك الأردن، أحد المنتخبات الأربعة التي تشارك لأول مرة في كأس العالم، والذي يعتمد على الهجمات المرتدة السريعة. تبدو مهمة الأرجنتين سهلة، على الرغم من أنها تتوجه إلى كأس العالم

بهدف دون رد أمام المنتخب الأفريقي. وصلت السنغال إلى الدور ربع النهائي في ذلك العام، وربما تكون، إلى جانب المغرب، أبرز الفرق الأفريقية المتأهلة لهذه البطولة. وستتجه جميع الأنظار نحو مباراة فرنسا والنرويج، والتي ستجمع النجمين كيليان مبابي وإيرلينغ هالاند. سجّل هالاند 16 هدفًا، وهو رقم قياسي، في تصفيات أوروبا كواحد من أكبر المنتخبات سنا.

الترتيب المتوقع للمجموعة: الأرجنتين، النمسا، الجزائر، الأردن. ■

المجموعة الحادية عشرة:

البرتغال، أوزبكستان، كولومبيا ومنتخب من الملحق العالمي الأول (جمهورية الكونغو الديمقراطية، جامايكا، أو كاليدونيا الجديدة).

شعر البرتغاليون ببعض التوتر عندما أوقعت القرعة كولومبيا في مجموعتهم من المستوى الثاني، لأنه حتى تلك المرحلة، كانت المجموعة الحادية عشرة تُعتبر المجموعة الأصعب. لكن البرتغاليين شعروا بسعادة كبيرة بعد رؤية أوزبكستان تُسحب من المستوى الثالث، إلى جانب الفائز من الملحق القاري الأول (الكونغو الديمقراطية، جامايكا، كاليدونيا الجديدة). ستكون أوزبكستان، المصنفة 55 عالميًا، والتي يتولى تدريبها أسطورة إيطاليا فابيو كانافارو، الطرف الأضعف أمام البرتغال وكولومبيا. ومهما حدث، ستكون المجموعة الحادية عشرة محط أنظار كبيرة بفضل وجود كريستيانو رونالدو.

الترتيب المتوقع للمجموعة: البرتغال، كولومبيا، الفائز من الملحق العالمي، أوزبكستان.

● المجموعة الثانية عشرة:

إنجلترا، كرواتيا، غانا، بنما

تحمل هذه القرعة أجواءً من عام 2018 بالنسبة للمنتخب الإنجليزي، الذي سجل ستة أهداف في مرمى بنما حينها ووصل إلى نصف النهائي، لتنتهي آماله على يد كرواتيا في الوقت الإضافي ويفقد فرصة الظهور بالنهائي الأول منذ فوزه بالكأس عام 1966. سيواجه المنتخب الإنجليزي كلا المنتخبين مجددًا الصيف المقبل. نظريًا، وتبدو فرصة أقوى هذه المرة مما كانت عليه في مونديال روسيا بعد عبور التصفيات بالعلامة الكاملة ونتائج هي الأفضل بين جميع الفرق المتأهلة. من المرجح أن تتصدر إنجلترا المجموعة نظرًا لتقدم جيل كرواتيا الذهبي في السن، وتجاوز قائدها لوكا مودريتش الأربعين من العمر. سيكون دور غانا في هذه المجموعة مثيرًا للاهتمام، ولديها القدرة على التسبب في مشاكل لإنجلترا وكرواتيا.

الترتيب المتوقع للمجموعة: إنجلترا، كرواتيا، غانا، بنما. ■

في وداع أرض وبشر

محمد علي فرحات

بلاد للحرب

هكذا اختاروها وصدقنا وأطعناهم، وآمنا بأن بلادنا هذه بلاد للحرب، غايتها وحركتها الوحيدة، علامة حياتها. بلاد تتمرن على قتل نفسها، لا تستطيع، تتآكل وتبقى لها حياة قليلة، فقط للحفاظ على حربها.

بلاد أهدرت نفسها بالصغائر وتقديم الطاعة لمن اعتبرتهم كباراً، لتفقد معناها الخاص بها وتعلن نفسها ساحة حرب.

بلاد تجذب القتلة إذا عز فيها القاتل، تقول: تعالوا إلينا ومزقونا، أنتم كاتبو مصيرنا بالرايات القديمة والسلاح الأبيض والسلاح الأسود، أنتم المعنى الوحيد الذي بقي لنا. وإذ كنا نسلم رقابنا لقاتل واحد ها نحن نسلمها لقتلة كثيرين، ولنا أن نختار طريقة القتل بحسب أيديولوجيا القاتل:

- تكنولوجيا القاتل.
- يهنأ القاتل والقتيل.

هكذا وعدونا ونحن نصدقهم.

غضب

البدائية بلا براءتها، في منتهى جوعها تتصارع على طريدة، يكون المتصارعون طرائد بعضهم لبعض.

البدائية في عزلتها كأنْ لا أحد يقربها، لا على أرضها يدب ولا في فضائها يطير.

البدائية في صمتها المطبق، لا أنفاس بشر ولا هسيس حشرات، خصوصاً، هنا، لا زقزقة لعصفور وحيد أخطأ سربه ووصل تائهاً.

البدائية، بدائيتنا، أن نكون وحدنا، لا يؤنسنا سوى البغضاء تشحن حماستنا وتضخ حياة في أجسادنا المستسلمة. وكيف تكون حماسة بلا صوت إذا لم يكن مأوانا الملجأ أو الخندق؟ ولنقل هو الجحر مأوانا، نحن الأفاعي، أبناء الأفاعي، وقد لبسنا صورة البشر.

بلاد الأفاعي بلادنا، كأن لا أحد مر من هنا، لا صوت وحيد صارخ ولا مزمار راع فقد أغنامه ويعزف ليستعيدها. كأنْ لم يمر من هنا معلم وكتاب، مات المعلم أو أكمل طريقه إلى ما بعدنا، تاركاً على أرضنا الجرداء كتابه تأكله الشمس ويذيبه المطر ويشربه التراب.

التراب ترابنا يشرب ماء، كتباً، وينبت الأعشاب الخرساء.

البدائية نحن، البدائيون الخرس نحن، ولنا صوت وحيد يعلو عند الجريمة ثم نهدأ مثل أبرياء، مثل أفاع في جحورها ملساء تغري الأطفال باللمس.

رحلة الصوت

ضائع، حملني الصوت من بيتي وتاه بي.
نفضت الصوت عني فسقطت كمن يسقط عن حصان.
نفضت ثيابي وتأكدت من سلامتي ومشيت.
ضائعاً مشيت، قلت أنام سبع ليال عند سبعة أصدقاء وفيا ليوم الثامن أتذكر فيه بيتي. أصل إليه بالطائرة أو بالقطار أو بالسيارة، ولا أصل على صوت.
بيتي هناك وقد عضه الوحش / الانفجار.
أعبر حطام ما كان بيتاً نحو أمكنة بلا رماد، أمشي إلى حيث أعشاب وصخور نقية واجلس مثل كائن هبط من المريخ على أرضنا.
بلا بيت أبداً، بلا ذكريات، ثم أستدرك نحو طفولة تبحث عن هويتها بلا أهل، تبحث عن أهل من أجل هوية.

ابتسامة

الوجوه الهانئة مثل بدر الليل، تهتدي بها، بلمعة العينين. تقول: الإنسان لأخيه الإنسان، يتنزهان ويفرحان فينمو الزهر حتى آخر التراب وأول البحر.

الوجوه، ابتساماتها تذوي كأنما ولد الخريف للتو. فصل جديد في طبيعة اعتادت مطر الشتاء والشمس الزاهية للربيع والصيف.

ندخل في ابتسامة الموناليزا الغامضة، ابتسامة المفترقات، كأنما الموناليزا هاربة من الحرب، وحيدة، أو برفقة من يثقلونها، أباً وأماً وأخوات، تصل معهم إلى الأمان.

أمان الموناليزا وأهلها يكفي، وما من طموح، وما من جرأة في أرض الآخرين، هكذا الموناليزا لا تبتسم جيداً.

ابتسامة فتاة مهاجرة، هذا سرها، وليخرس القائلون إنها الحيرة بين أنوثة ورجولة.

ليل حقيقي

لا بد من ليل حقيقي لنرضى بضوئنا القليل، السماء ذات النجوم، وأفق النار حيث يبدأ الجانب الآخر من الأرض.

وليبق النهار بعيداً حتى لا يكشفنا الجيران الطارئون، نخفي عنهم غرفنا الأليفة ونعرض الشرفات العمومية، نقول هذي بيوتنا وأنتم الضيوف.

والشجر لا نستطيع أن نخفيه وثمر الشجر، وصور أطفالنا يلعبون بالأغصان الطريّة قبل أن تتعالى الشجرة وتبعدهم المسافات، فلا يصل منهم سوى الأصوات المرتجة وصوَر تهتز على شاشة الكومبيوتر.

لا بد منِ ليل حقيقي ليخفي إحساسنا بالغروب، حتى إذا أصبح النهار صَدَمتنا النهاية وصارت بيوتنا مساكن الآخرين.

جرس الرعاة

وحدها الكلاب تجرؤ على رفع الصوت تنبيهاً لأقدام غريبة.
وحدها تنبح بتوتر وتتحرك حول القطيع، تحفظه في دائرتها.
لقد تعودت على الحراسة وضربت بها الأمثال في الأمانة.
الأقدام الغريبة رآها الرعاة أيضاً، ورفعوا أنظارهم لتكتمل صور رجال يلبسون ثياباً غريبة لا تناسب طقساً معتدلاً يميل إلى الحرارة.
كانت قطرات العرق تتساقط من جباههم على العشب فتنهدل أوراقه ثم يداخلها اصفرار، كأنما ضربتها الشمس.
خرج الرعاة من أكواخهم منزعجين من تصاعد النباح، ليروا في أفق الجبال مزيداً من الرجال، وكانت رائحة أجسادهم تسبقهم وتملأ الهواء. قال الرعاة أنه عهد جديد في جبالهم لم يشهده الأجداد ولم تتناول مثله الحكايات.
جبالنا المفتوحة على الشمس والعشب والمواشي والكلاب والرعاة، ترتادها جماعات غريبة لا تألف السكان ولا يألفونها، وكان أول ما فعلت قتل الكلاب، قتل الأمانة.
ما لهذا الوهج قد أفلت منا، وبقيت برودة هي أخت الصمت بل أمه؟
الكلمات غير الكلمات.
ليس من بيت دافئ، من كتاب يكسر حواجز الأفق، ليس من مدفأة أي ليس من حبيبة، فماذا يفعل الأطفال في حروب الاقتلاع العربية، حيث تغيب الأغاني وتكثر الأوامر؟ يأتي الواعظ ليسلبك أعز ما لديك، الحب والإحساس بالطبيعة ومد يد الصداقة للغريب. ■

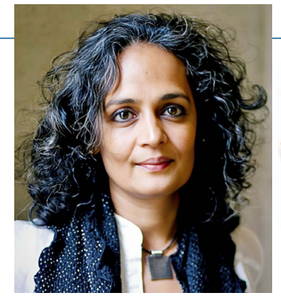

الكاتبة الهندية اروناتي روي

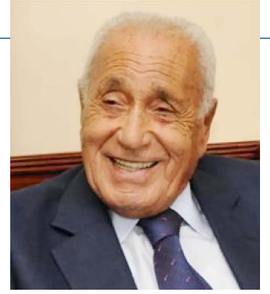

الراحل محمد حسانين هيكل

المتحف البريطاني

انسحابات بسبب تصريحات رئيس لجنة تحكيم مهرجان برلين السينمائي عن غزة

■ اثر تصريح المخرج الألماني (فيم فيندرز) رئيس لجنة تحكيم الدورة 76 لمهرجان برلين السينمائى الدولي التي قال فيها (إن السينما يجب أن تبقى بعيدة عن السياسة)، وذلك ردًا على سؤال بشأن موقف الحكومة الألمانية من غزة، واستطرد فقال (علينا أن نقوم بعمل الناس وليس بعمل السياسيين. اننا إذا أنتجنا أفلاما سياسية بحتة، فإننا ندخل فى مجال السياسة، لكن السينما هى الكفة المعادلة للسياسة. كما أن الأفلام يمكن أن تغير العالم بطريقة غير سياسية، فهى لا تغير أفكار السياسيين، لكنها يمكن أن تغيّر تصور الناس للطريقة التي ينبغي ان يعيشوا بها. فى مقدمة الجهات المنتقدة، جاءت مؤسسة الفيلم الفلسطيني التي قامت بالغاء عروض النسخ المرممة من (أغنية توحة الحزينة) وانتزاع الكهرمان كما أصدرت بيانًا شديد اللهجة، انتقدت فيه ما وصفته بـ(الصمت المؤسساتى) لإدارة المهرجان، ورفضها اتخاذ موقف واضح يدعم حرية التعبير وحقوق الفنانين. وتضامناً مع بيان المؤسسه، أعلنت الكاتبة الهندية العالمية أروناتى روى انسحابها من المهرجان، مؤكدة فى بيان لها أنها (صُدمت واشمأزت) من تصريحات أعضاء لجنة التحكيم. وكانت روى ضيفة على المهرجان لتقديم نسخة مرممة من أحد أعمالها، قبل أن تتراجع عن المشاركة (بأسف عميق). وقالت روى إن (القول بأن الفن يجب ألا يكون سياسيًا أمر مستغرب) معتبرة أن ما يحدث فى غزة قضية إنسانية لا يمكن تجاهلها، ومؤكدة أن التاريخ سيحاسب الفنانين الذين يلتزمون الصمت.. وأعلن القائمون على «سيماتك - مركز الفيلم البديل»، بالتنسيق مع ورثة المخرجة عطيات الأبنودى والمخرج السودانى حسين شريف، حيث أعلنوا انسحابهم رسميا من المشاركة فى دورة هذا العام،

انتقادات للمتحف البريطاني لإزالته اسم فلسطين من معروضات متعلقة بمصر القديمة

■ طالبت جماعة مؤيدة لإسرائيل تطلق على نفسها اسم (محامون بريطانيون) بإزالة اسم فلسطين من المعروضات المتعلقة بمصر القديمة والفينيقيين. وقد استجاب المتحف لذلك الطلب تحت تبرير بأن الكلمة لم تعد ذات دلالة (كمصطلح جغرافي تاريخي في ذلك السياق) وفي رسالتها إلى مدير المتحف البريطاني، قالت تلك المجموعة (محامون بريطانيون من أجل إسرائيل) بل زعمت أن استخدام مصطلح فلسطين في المعروضات (يؤدي إلى طمس مملكتي إسرائيل ويهوذا) و(إعادة صياغة أصول بني إسرائيل والشعب اليهودي على أنها تتحدر خطأ من فلسطين). واعترضت تحديداً على اللافتات في المعروضات التي تغطي الفترة من 1700 إلى 1500 قبل الميلاد، والتي أشارت إلى ساحل شرق البحر الأبيض المتوسط باسم (فلسطين)، ووصفت شعب الهولوكس بأنهم من (أصل فلسطيني). وتم تغيير تلك الملصقات الآن لتصبح (كنعان) و(الأصل الكنعاني).

في حين قال أكاديميون إن (فلسطين القديمة) مصطلح دقيق تاريخياً للمنطقة في العصور القديمة. وبينت مارشيلا وورد، المحاضرة في الجامعة المفتوحة في بريطانيا: انها (استخدمت مصطلح (فلسطينن القديمة) بشكل متكرر في أبحاثي، وأضافت سأستمر في (استخدامه). واستطردت أن الادعاءات بأن المصطلح حديث العهد أو غير شرعي هي «كذبة» تهدف إلى (محو الفلسطينيين ودعم الإبادة الجماعية الإسرائيلية المستمرة ضدهم).

ماذا كتب هيكل الى زوجته في خطابه الذي تركه قبل رحيله

■ ترك الكاتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل رسالة خاصة لزوجته السيده الفاضله (هدايت تيمور) واوصاها ان لا تقوم بفتحها قبل رحيله، فقد كان يشعر انه قد اصبح في نهاية المشوار، بل انه كان يرفض تناول الأدويه بقوله «لا تعاندوا الأقدار، وساعة النهاية» وبعد رحيله قامت السيده هدايت بفتح الرساله ،ووجدت سطورها الأولى تقول «راض بما اديت من دور في خدمة المهنه ،وفي خدمة الوطن ،وفي خدمة الأمه، ثم انني سعيد ان الظروف قد اتاحت لي ان اشارك واعيش سنوات الأشراق في المشروع القومي العربي الذي قاده ذلك الصديق الحبيب الى قلبي والأثير عندي وهو جمال عبدالناصر».

الموت يُغيب جمال ريان... أول مذيع على شبكة الجزيرة

■ فقد الوسط الإعلامي، الأحد، الإعلامي جمال ريان، بعد مسيرة مهنية امتدت لأكثر من خمسة عقود في العمل الإذاعي والتلفزيوني العربي.

ولد ريان في مدينة طولكرم الفلسطينية في 23 أغسطس/آب 1953 ، ويحمل الجنسية الأردنية.

وبدأ عمله الإعلامي عام 1974 في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الأردني، حيث قدم نشرات إخبارية وبرامج سياسية، قبل أن ينتقل لاحقاً إلى عدد من المؤسسات الإعلامية العربية والدولية، من بينها هيئة الإذاعة الكورية الجنوبية، وتلفزيون الإمارات، وهيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي.

وبرز اسم جمال ريان على نطاق واسع مع انطلاق قناة الجزيرة عام 1996 ، إذ كان أول مذيع يظهر على شاشتها، وقدّم نشرتها الأولى، ومنذ ذلك الوقت، ارتبط اسمه بالقناة بوصفه أحد أبرز وجوهها الإخبارية، واستمر على مدى سنوات طويلة في تقديم التغطيات والنشرات السياسية.

وخلال مسيرته، واكب ريان عدداً من أبرز الأحداث التي شهدتها المنطقة، من بينها الحرب الأمريكية على أفغانستان والعراق، إلى جانب تطورات سياسية كبرى شهدها العالم العربي في العقود الأخيرة.

عُرف بأسلوبه الإخباري الهادئ واعتماده لغة مباشرة وحضوراً تلفزيونياً مستقراً، ما جعله واحداً من الأسماء المعروفة في مجال تقديم الأخبار على الشاشات العربية.

كما عُرف عن جمال ريان مواقفه المنتقدة لإسرائيل.

واحة الحصاد

اختبر معلوماتك

اختر الجواب الصحيح:

١ ـ كلمة «الفارع» تعني:
الجريء المقدام ـ النور الخافت ـ ام المرتفع الهيئ الحسن؟

٢ ـ «القانون في الطب» و«الحاوي» اي كتاب منهما لابن سينا؟ واي كتاب لأبي بكر الرازي؟

٣ ـ «لا يصب اي نهر في البحر الاحمر خلافا لبقية البحار».
صح أم خطأ؟

٤ ـ هو اندر لتوابل واغلاها ثمنا . فما هو؟
الزنجبيل ـ الزعفران ـ ام كبش القرنفل؟

٥ ـ ما اسم الدولة التي استخرج منها النفط لأول مرة في الشرق الاوسط؟
المملكة العربية السعودية ـ الكويت ـ أم ايران؟

٦ ـ «ذكور النحل هي فقط التي تلدغ».
صح؟ ام خطأ؟

٧ ـ ما هو الاسم الدخيل بين هذه الاسماء:
كمال الشناوي ـ محمد الموجي ـ عماد حمدي ـ شكري سرحان؟

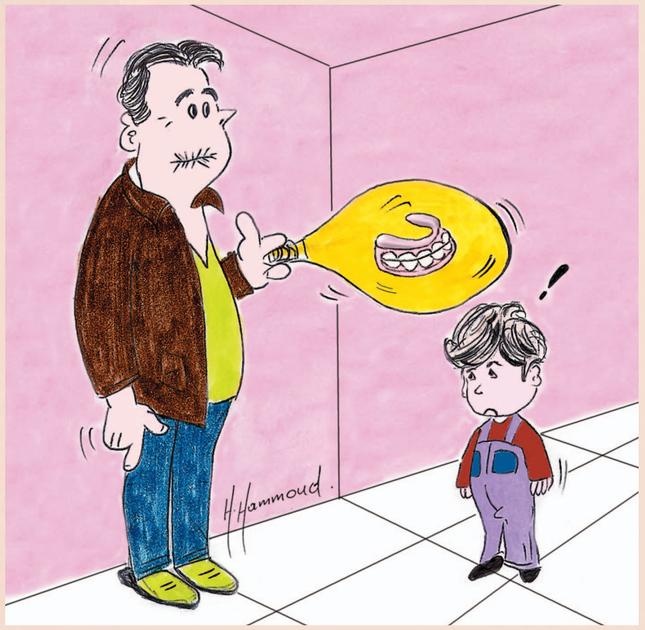

بريشة: حسين حمّود

أقوال

- المرأة مخلوق مركزه بين الملائكة والبشر ..... **بلزاك**
- ان زوجتي هي التي جعلت مني من اكون ..... **بسمارك**
- ايتها المرأة انت تحكمين والرجل مملكتك ..... **لامارتين**
- نظرات المرأة اقوى قانون، ودموعها اصدق برهان ..... **سافييل**
- المرأة مثل العشب الناعم، ينحني امام النسيم، ولكنه لا ينكسر للعاصفة ..... **هوكيلي**
- كل شيء حسن حولي هو من صنع امرأتي ..... **روكفلر**
- الزوجة الحقيقية هي التي تستطيع خلق الجمال في قلب الرجل ..... **طاغور**
- حياة المرأة سلسلة من المشاعر، والحب، والألم، والتضحية ..... **بلزاك**
- الرجل رجل في بعض الاوقات، والانثى انثى في جميع الاوقات ..... **جان جاك روسو**

نوادر

● ايحاء ذاتي ●

■ دخل احدهم عيادة طبيب نفساني. فلما فحصه الطبيب قال له:
ـ انت مريض بالايحاء الذاتي وما عليك الا ان تقول:
«لقد شفيت.. لقد شفيت.. حتى تقنع نفسك بأنك قد شفيت فعلا..!».
فشكره المريض وهمّ بالانصراف. فقال له الطبيب: «ولكن اين بدل الاتعاب؟»
اجاب المريض: «ما عليك الا ان تقول: لقد قبضت.. لقد قبضت.. حتى تقنع نفسك بانك فعلا قد قبضت..!».

● اللص والسعادة ●

■ القاضي للمتهم: «اضافة الى سرقة المال، اذن، اخذت ايضا الساعات والخواتم والمجوهرات..؟!»
المتهم: «أجل يا سيدي.. فالكل يعلم ان المال وحده لا يجلب السعادة...!»

● ... والبادي اظلم ●

■ ذهب رجل مع زوجته الى احد الفنادق للاقامة فيه مضطرين بسبب بعض التصليحات التي كانت تجري في منزلهما.
وعندما اراد مغادرة الفندق جاءهما المدير بفاتورة الحساب. دُهش الرجل عندما وجد ان الفاتورة تتضمن استعمال التلفزيون الذي لم يستعمله، وثمن مكالمات هاتفية لم يقم بها.
وللحال استدعى صاحب الفندق وقال له:
ـ ولكني لم استعمل التلفزيون!
ـ كان بامكانك استعماله.
ـ ايضا فأنا لم استخدم التلفون!
ـ كان بامكانك استخدامه.
وكتم الرجل غيظه وقال لصاحب الفندق:
ـ «حسنا... انك انت ايضا عاكست زوجتي وعليك انْ تدفع فاتورة ذلك التحرش فنكون بذلك متعادلين...».
فقال صاحب الفندق منفعلاً:
«ولكني لم اعاكس زوجتك..!».
ـ «حسنا.. كان بامكانك معاكستها..!».

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايبه والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS
0207 373 4445
www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

عبدالحليم حافظ.. وسره الدفين مع جماهيره الغفيرة

يكتبها
أمين الغفاري*

رغم رحيل عبدالحليم حافظ منذ نصف قرن تقريبا، الا انه مازال حيا في آذاننا، وفي ذاكرتنا، ولم يقترب مطرب آخر ليزاحمه، رغم تعدد الاجيال،،وصعود أصوات كثيره ،مصريه وعربيه،الى آفاق عاليه من الشهرة والنجاح.

الا ان عبدالحليم مازال النجم الغائب الحاضر، والصوت الاعلى مساحه من الطرب والنشوة، والرواء النفسي، للعطش الوجداني. للعذوبه ومعنى المتعه حتى الأشباع. انه عبدالحليم حافظ، ورغم رحيل قمم عاليه أخرى، في فن الموسيقى والغناء، مثل عبدالوهاب، وفريد الأطرش، ومحمد فوزي، ووديع الصافي، الا انهم ليسوا في مستوى الذاكره التي تلح في استدعاء الطرب مع ان لهم رصيدا عظيما من الاعمال الخالده، بالأضافة الى انهم ملحنون كبار، في حين ان عبد الحليم كان مجرد (صوت) يغنى، وهو في حاجة ماسة الى من يضع له اللحن الموسيقى، الذي يترجم عليه صوته. ومجمل هذه الملاحظات انها تقودنا الى سؤال هام وملح أيضا.

هل كان عبدالحليم حافظ مجرد نبرة صوت جميله،أو أخاذه أو ساحره، ايا كان الوصف الذي يتفق عليه.ولهذا اصبح يتمتع بهذا الكم من العشق والوجع الوجداني لرحيله .في عصره كانت هناك بجواره أصوات شابه أخرى ذات جمال وقبول كان منهم في ذلك الزمن (محرم فؤاد وماهر العطار وعبداللطيف التلباني وعادل مامون) الا انهم رغم وجودهم ،و ،جمال ما يتمتعون به من عذوبة الصوت وجماله،لم يتمكنوا من الاقتراب منه اومن مزاحمته.بل هناك ايضا من اعلن الحرب اليه، وحاولوا ايجاد مطرب آخر، يلتفون حوله، ويقدمون له الدعم الفني والاعلامي، بحيث يكون قادرا على تهديد العرش الغنائي لعبدالحليم حافظ، لكن الجمهور كان له رأي مختلف.

حدث في البدايات الأولى لعبدالحليم، وقبل ان تسلط عليه الأضواء ان رشح للغناء في احد الافلام من انتاج فنانه كانت ممثلة واصبحت منتجه كبيره وهي (ماري كويني) الا انها اعترضت وقالت ان وجهه لا يصلح للتصوير،فهو ليس (فوتو جنيك). ويمكن ان يغنى، ولكن بدون صوره، مما اثارعبدالحليم، واعتبرها اهانه. يضاف الى ذلك ان كاتبا معروفا اسمه (موسي صبري) كان قد طلب عبدالحليم بعد ان ذاع اسمه ليغني في احدى الحفلات التي يهمه امرها، واعتذر عبدالحليم بسبب وقته.

ثم شاءت الظروف ان مطربا شابا تقدم الى برنامج (ركن الهواه) وهو احد البرامج الاذاعيه التي تعمل على اكتشاف المواهب ،واسم هذا الشاب (كمال حسني) وغنى لعبدالحليم حافظ احد اغانيه. ولفت النظر الى جمال صوته، فتقدمت (ماري كويني) والتقطت هذا الشاب، وقامت بعمل فيلم له (ربيع الحب). وشاركته البطوله (شاديه) وتولى (موسي صبري) وكان رئيسا لتحرير احدى صحف اخبار اليوم عملية الدعايه للمطرب الجديد على نطاق واسع وبدى ان هذا المطرب يهدد عرش عبدالحليم حافظ من خلال حملة الدعاية غير المسبوقه.

ويشاء القدر ان يسجل الفيلم سقوطا لا مثيل له ،وتفشل خطة تنصيب مطرب جديد يمكنه ان يطيح بعرش عبد الحليم. مع ان الشاب كان يتمتع بصوت جميل وقام بالتلحين له (محمد الموجي) في اغنية (غالي علي) ولحن له منير مراد دويتو مع شاديه (لو سلمتك قلبي واديت لك مفتاحه).

كان عبدالحليم عصيا على ان ينافسه احد، والسؤال لماذا ؟يقول اساطين الموسيقى والغناء واهل الخبره في تصريحاتهم مايلي: الموسيقار عبدالوهاب.. ان عبدالحليم اولا نبرة صوت مختلفه ،يضاف الى ذلك قدره تعبيريه تنم عن احساس عال جدا ،لدرجة انني حين اشاهده يمثل في السينما اطرب له ،تماما كأنه يغني. تقول ليلي مراد حين اسمع عبدالحليم حافظ فانني اصدق انه يحب فعلا او حزين تماما لا اصدق انها مجرد اغنيه، ينتابني احساس بالشفقة عليه او السعاده له من خلال نبرات صوته.

يقول الكاتب الكبير الراحل كامل الشناوي انا لا اصدق عبدالحليم الا حين يغنى. اصدق حزنه او فرحه. تقول المطربه أنغام عبدالحليم صوت جميل لاشك، ولكن عبقريته في انه ينقل احساسه للمستمعين له فياسرهم تماما لأنهم يصدقونه فيما يغنيه. هذا هو سر عبدالحليم حافظ الدفين انه قادر بفضل احساسه العارم والمتدفق ،ان يعبر بصدق عما يغنيه ويردده على لسانه. يضاف الى ذلك نبرة الصوت في المخاطبه او التعبير صوته يحتضن بحنو بالغ مشاعر المستمع فيتوحد معه حبا وطربا، ونشوه .هذا بالتأكيد مكمن تأثيره الطاغي، وجماهيريته الكاسحه. ■

*كاتب وصحافي مصري

The Scent of Jasmine and Mediterranean Mystique

Welcome to Le Royal Hammamet, just steps from the Marina and seaside adventure. The hotel boasts 266 rooms with private balconies, Satellite TV, Wifi internet, 24-hour room service and all the facilities of a five-star hotel. Moorish architecture, sandy beaches and manicured gardens add to the propertys' charm. Five restaurants and bars offer the best of food and beverage, with both local and international flavours. The property features four swimming pools, two tennis courts, water-sports and a deluxe Spa center. The Cleopatra Convention Centre is the ideal venue for events.

Luxembourg | Luxembourg

Amman | Jordan

Beirut | Lebanon

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com